



العدد الرابع والعشرون

رجب ١٤٤٠ هـ

آذار / مارس ٢٠١٩ م

MAGAZINE
BOUHOUTH

رئيس مجلس الإدارة

الشيخة ميسون القاسمي

المدير العام: د. ناصر الفضلي

رئيس التحرير: د. عبد الملك الدناني

مدير التحرير: د. محمد عبد العزيز



مجلة

بحوث

مجلة علمية محكمة ربع سنوية

تصدر عن مركز لندن للبحوث والدراسات والاستشارات

الرئيس الفخري: سمو الأميرة منال آل سعود

ISSN 2313-1004

بحوث علمية محكمة



LONDON

+442033044839

Hot Line

+447766666016

conference@scrllondon.com
info@scrllondon.com

www.scrllondon.com

المجلة ضمن تصنيف



@scrllondon2

@scrllondon

SCR London



www.facebook.com/Greattrick

هيئة التحرير



د. ناصر الفضلي
المدير العام



أ. د. شبير الحرازي
نائب رئيس التحرير



د. عبد الملك الدناني
رئيس التحرير



د. محمد عبد العزيز
مدير التحرير



د. مازن الخيرو
العراق



د. وسن الصالح
مدير التدقيق



أ. سارة كميخ
الكويت



د. منى الزعبي
الأردن



د. حسن مصطفى
الإمارات



أ. إسلام العزيز



أ. محمد الصوابي



بحوث

مجلة علمية محكمة ربع سنوية
تصدر عن مركز لندن للاستشارات والبحوث

العدد الرابع والعشرون

(رجب 1440 هـ - آذار/مارس 2019 م)

هيئة التحرير

المدير العام
د. ناصر الفضلي

فريق العمل

د. مازن الخيرو
العراق

د. حسن مصطفى
الإمارات

د. منى الزعبي
الأردن

أ. سارة كميخ
الكويت

مواقع التواصل
أ. إسلام العزيز

رئيس التحرير

د. عبد الملك الدناني

نائب رئيس التحرير
أ. د. شبير الحرازي

مدير التحرير
د. محمد عبد العزيز

مدير التدقيق
د. وسن الصالح

مدير الموقع
أ. محمد الصوابي

<http://www.scr london.com> conference@scr london.com
<http://www.scr-magazine.com> info@scr london.com



@scr london2



@scr london



SCR London

الهيئة العلمية الاستشارية 2019

د. بدرية بنت محمد العتيبي / السعودية
أستاذ علم الاجتماع المشارك، جامعة الإمام محمد
بن سعود

د. سعاد مطر/فرنسا
أستاذ الإعلام والاتصال، جامعة العين

د. مازن موفق الخيرو/العراق
أستاذ البلاغة القرآنية، جامعة الموصل

د. علاء زهير الرواشدة/الأردن
أستاذ علم الاجتماع المشارك، جامعة عجمان

د. صلاح الدين عامر/اليمن
وزارة الأوقاف، محاضر في علوم الفقه

د. ثناء عبد الودود عبد الحافظ/العراق
أستاذ علم نفس تربوي، جامعة بغداد

د. وسن صالح حسين الحياني/العراق
أستاذ مساعد اللغة العربية، جامعة بغداد

د. ربيع عبد الرؤوف عامر/مصر
أستاذ مساعد التربية الخاصة، جامعة الملك خالد
(السعودية)

د. هنادي الحملي/الكويت
مستشار تنمية إدارية وبشرية

د. منى عبد القادر الزعبي/الأردن
أستاذ التربية الإسلامية، جامعة اليرموك

د. نهى بنت سعيد أسعد نقيطي/السعودية
أستاذ مشارك تصميم وفنون، جامعة الملك عبد
العزيز

د. إلهام خضير شبر/العراق - المستنصرية
أستاذ الاقتصاد السياحي

مهرة آل مالك/الإمارات
استشاري علم نفس، جامعة عجمان

محمد شرف محمد هاشم/اليمن - عجمان
أستاذ علوم الإعلام

Dr. Alexander c.md

PhD in theology at the University of Birmingham, UK/
Birmingham

Dr Anita moors

London research center.Uk/London

د. إنعام يوسف محمد (رئيس الهيئة)/مصر
أستاذ مساعد، جامعة عجمان

أ.د. شبيب عبد الله الحرازي/اليمن
رئيس جامعة العلوم الحديثة

أ.د. علا عبد المنعم الزياد/مصر
أستاذ علم الاجتماع، جامعة المنوفية

أ.د. مزنة بنت حزام الشمري/السعودية
أستاذ هندسة الحاسب الآلي
kings college London

أ.د. محمد أحمد الدوماني/ليبيا
أستاذ الفلسفة وعلم الاجتماع، جامعة المرقب

أ.د. ألفت ابراهيم جاد الرب/مصر
عميد كلية التجارة، جامعة الأزهر

أ.د. محمد عبد الكريم محافظة/الأردن
عميد كلية الآداب، الجامعة الهاشمية

أ.د. يعقوب الكندري/الكويت
أستاذ علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، جامعة
الكويت

أ.د. أحمد عودة سعود القارعة/الأردن
عميد كلية العلوم التربوية، جامعة الطفيلة

أ.د. محمد زين عبد الرحمن/مصر
عميد كلية الإعلام، جامعة بني سويف

أ.د. إبراهيم الخضر/السودان
عميد كلية التربية، جامعة إفريقيا العالمية

أ.د. طارق عبد الرؤوف عامر/مصر
أستاذ التربية وعلم النفس، جامعة الأزهر

د. عبد الملك ردمان الدناني/اليمن
أستاذ الاتصال المشارك، كلية الإمارات
للتكنولوجيا

د. شومة بنت محمد بن مساعد/السعودية
أستاذ البلاغة والنقد، جامعة تبوك

<http://www.scr london.com>
<http://www.scr-magazine.com>

conference@scr london.com
info@scr london.com



@scr london2



@scr london



SCR London

قواعد وضوابط النشر

1. يجب ألا تزيد مساحة النشر عن ستة آلاف كلمة للبحث شاملة المراجع.
2. يعد ملخصان للبحث: أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الإنجليزية، على ألا تتجاوز كلمات كل واحد منهما (200) كلمة، ويلى الملخصين كلمات مفتاحية (Words Key) لا تزيد على خمس كلمات (غير موجودة في عنوان البحث) للتعبير عن المجالات التي يتناولها البحث لتستعمل في الكشف.
3. استخدام طريقة (APA) لتوثيق مراجع البحث العلمي لتعزيز الأمانة العلمية للباحث، كما يجب أن تتضمن المنهجية مشكلة البحث، أهدافه، محدداته - حال وجودها - والدراسات السابقة، الخاتمة وتشمل النتائج والتوصيات.
4. يراعى عند تكرار المصدر في صفحة ثانية من البحث أن يذكر فقط اسم المصدر ورقم الصفحة أو رقم الصفحة والجزء إذا كان الكتاب أجزاء.
5. اعتماد أقواس التنصيص الصغيرة "" في حال نقل الكلام من المصدر نصاً، أما إذا تصرف البحث بالكلام المنقول فلا يوضع الكلام بين أقواس ويكتب في الهامش كلمة «ينظر» قبل اسم المصدر.
6. تكون صيغة الملف المرسل على طريقتين -PDF- و-WORD- ونوع الخط في المتن للبحوث العربية (Arabic Simplified) بحجم (14) وللإنجليزية حجم الخط (11) ونوعه (Times New Roman) على أن تكون العناوين الرئيسة حجم 18 والهامش 12، وهوامش الصفحة 2.5 سم، والمسافة بين الأسطر مفردة، ويكون نوع الخط في الجداول للبحوث العربية (Arabic Simplified) بحجم (10) وللبحوث الإنجليزية (Roman New Times) بحجم (8) كما يراعى في البحث المتضمن جداول وأشكال كتابة رقم الشكل وعنوانه أعلاه ثم مصدره أسفله.
7. تستخدم الأرقام العربية (3-2-1...Arabic) في جميع ثانيا البحث، على أن يكون ترقيم صفحات البحث في منتصف أسفل الصفحة.
8. يكتب عنوان البحث واسم الباحث أو الباحثين، والمؤسسة التي ينتمي إليها وسبل التواصل ميل وواتساب، على صفحة مستقلة قبل صفحات البحث، ثم تتبع بصفحات البحث، بدء بالصفحة الأولى حيث يكتب عنوان البحث فقط متبوعاً بكامل البحث.
9. يراعى في كتابة البحث عدم إيراد اسم الباحث أو الباحثين في متن البحث صراحة، أو بأي إشارة تكشف عن هويته، وإنما تستخدم كلمة الباحث أو الباحثين عوضاً عن الاسم سواء في المتن أو التوثيق أو في قائمة المراجع.
10. يجب الأخذ بعين الاعتبار الترتيب للمراجع، ومراعاة وجود علامات الترقيم من فاصلة ونقطة وغيرها، فبعض المراجع تعتمد الفاصلة في التوثيق وبعضها تعتمد النقطة.
11. يقدم الباحث موجزاً عن سيرته العلمية باللغتين العربية والإنجليزية وصورة شخصية حديثة، كما يجب أن يضع عنوان بريده الإلكتروني أسفل اسمه مع لقبه العلمي، مدرس، أستاذ مساعد، أستاذ مشارك، إلى غير ذلك من الألقاب العلمية.
12. يقدم الباحث الرئيس تعهداً موقعاً منه ومن جميع الباحثين المشاركين إن وجدوا (يفيد بأن البحث لم يسبق نشره، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يقدم للنشر في جهة أخرى) حتى تنتهي إجراءات تحكيمه، ونشره في المجلة.
13. في حال قبول البحث للنشر تؤول كل حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز نشره في أي منفذ نشر آخر ورقياً أو إلكترونياً، دون إذن كتابي من المدير العام.
14. الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين فقط، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
15. لهيئة التحرير الحق في تحديد أولويات نشر البحوث.
16. تخضع جميع المنتجات العلمية المقدمة للنشر إلى التحكيم العلمي الدقيق من قبل أساتذة مرموقين في مختلف التخصصات.
17. يجب أن تستوفى البحوث المرسله مرحلة التدقيق اللغوي الأولي قبل إرسالها إلى إدارة المجلة.
18. لهيئة التحرير حق الفحص الأولي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو رفضه، وفي حال قبول لجنة التحكيم له يعلم الباحث شفهاً، ورثما يتم بقية إجراءات النشر يخطر بكتاب رسمي، ثم يدرج البحث في قائمة الانتظار للنشر كل بحسب دوره.
19. يتم تقديم البحوث إلكترونياً من خلال بريد المجلة الإلكتروني: عناية مدير التحرير

conference@scrllondon.com - Whatsapp: 0096594448018

<http://www.scrllondon.com>
<http://www.scr-magazine.com>
conference@scrllondon.com
info@scrllondon.com



@scrllondon2



@scrllondon



SCR London

محتويات العدد

- كلمة العدد: بحوث علمية من واقع القضايا المجتمعية
بقلم/ رئيس التحرير : د. عبد الملك الدناني (اليمن) 7
- الروحي والعرفاني في صوفية المكان الشعري المغربي المعاصر
د. محمد نضاد (المغرب) 9
- دور القانون الدولي الإنساني في حماية الأسرى في أثناء النزاعات المسلحة
«قراءة في اتفاقية جنيف الثالثة» (دراسة قانونية)
د. عبد الوهاب كريم حميد (عُمان) 19
- أثر تطبيق الاستراتيجيات التنافسية على الأداء المالي في المصارف الإسلامية
(دراسة تطبيقية على عينة من المصارف الإسلامية في مملكة البحرين)
د. عمار عصام عبد الرحمن (البحرين) - د. نادية عبد الجبار الشريدة (البحرين) 37
- الذكاء الانفعالي لدى الطلبة الجامعيين
(دراسة وصفية مقارنة على عينة من طلبة جامعة الجزائر ٢)
د. حسيبة برزوان (الجزائر) 67
- الاتساق النحوي: دراسة تطبيقية تحليلية في قصيدة:
(البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) لأمل دنقل
د. بسمة رضا الحلالمة (السعودية) 81

كلمة العدد

بحوث علمية من واقع القضايا المجتمعية

بقلم/ رئيس التحرير

د. عبد الملك الدناني



سنظل في هيئة تحرير مجلة بحوث حريصين على تقديم الزاد المعرفي العلمي الرصين في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية من واقع القضايا المجتمعية، وذلك انطلاقاً من التوجه العام للأهداف والمبادئ المرسومة لمركز لندن للبحوث والاستشارات الاجتماعية، بمتابعة المتغيرات العلمية المتسارعة الحاصلة في مجال البحث العلمي، مع التزامنا بالمعايير والضوابط العلمية والمهنية المحددة للنشر.

ويأتي العدد الرابع والعشرون من المجلة ليعزز هذا التوجه من خلال التنوع في تناول القضايا البحثية المنشورة، التي تناولت الروحي والعرفاني في صوفية المكان الشعري المغربي المعاصر، وذلك لما للمكان من أهمية في الشعر الصوفي، فهو يختزل الرؤى ويكشف المعاني ويكثف الصورة الذهنية.

وجاء البحث الثاني ليسلط الضوء على دور القانون الدولي الإنساني في حماية الأسرى خلال النزاعات المسلحة، ليسلط الضوء على حماية ضحايا النزاعات المسلحة من قراءة في اتفاقية جنيف الثالثة، وهي دراسة قانونية لباحث أكاديمي من جامعة السلطان قابوس بعمان.

وتطرق البحث الثالث إلى أثر تطبيق الاستراتيجيات التنافسية على الأداء المالي في المصارف الإسلامية، وتم تطبيق الدراسة الميدانية على عينة من المصارف الإسلامية في مملكة البحرين، وذلك لما للاستراتيجيات من أهمية في توجه الأداء المالي للمصارف الإسلامية.

وتناول البحث الرابع الذكاء الانفعالي لدى الطلبة الجامعيين من خلال دراسة علمية وصفية مقارنة على عينة من طلبة جامعة الجزائر، بحكم أن الذكاء عاملاً مهماً ومؤثراً على الحياة الأكاديمية والاجتماعية والوجدانية للفرد، وتجعله أكثر توافقاً مع محيطه الاجتماعي والدراسي.

واحتل الاتساق النحوي مكانه في البحث الخامس من خلال دراسة تطبيقية تحليلية في قصيدة «البكاء بين يدي زرقاء اليمامة»، وذلك بتطبيق عناصر الاتساق النحوي من أثر فعال في إحداث الترابط الشكلي في النسيج اللغوي الممتد على سطح النص من بدايته إلى نهايته.

وما يجعلنا نؤكد بأن القضايا العلمية المنشورة في بحوث هذا العدد تلامس الواقع ونعيش تفاصيلها في الوقت الراهن بأنها تناولت بعض المتغيرات السياسية والفكرية والاقتصادية والقانونية والتعليمية والاجتماعية، التي تحدث في بعض الأقطار العربية، لا سيما المتصلة منها بكيفية التعامل مع الظواهر المحيطة بنا من منظور علمي واقعي.

ونأمل أن نكون قد وفقنا في تقديم مجموعة من البحوث المتميزة التي يمكن أن تسهم في خدمة العلم وتلبي رغبة الباحث العربي أينما كان.

الروحي والعرفاني في صوفية المكان الشعري المغربي المعاصر

د. محمد نفاذ - المغرب

مختبر البحث في العلاقات الثقافية المغربية المتوسطية،
جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس- فاس
مختبر البحث في العلاقات الثقافية المغربية المتوسطية



**Le lieu prend une place particulière dans
la poésie mystique marocaine, il résume
les visions, révèle les significations et
intensifie les images mentales**

Résumé

Dans cette recherche, nous présentons un modèle du lieu mystique (le soufisme du lieu) dans une expérience poétique féministe marocaine (la grande créatrice Amina Lmrini), et nous essayons de revoir les techniques de l'opération spatiale dans sa poésie et les images de sa constitution.

Nous aspirons également à mettre en évidence la dimension mystique et son interruption avec l'être de la poète en plus de l'ampleur de ses effets esthétiques et artistiques.

Les mots clés: Le lieu - Le soufisme - La poésie féministe - Maroc - Amina Lmrini.

ملخص

احتل المكان في الشعر الصوفي المغربي المعاصر مكانة مائزة، فهو يختزل الرؤى ويكشف المعاني ويكثف الصور الذهنية. وفي هذا البحث نقدم نموذجاً لصوفية المكان في تجربة شعرية نسائية مغربية «المبدعة أمينة المريني»، ونحاول تقليب النظر في آليات اشتغال الفضاء في متنها الشعري وصور تشكيله، كما نطمح أن نبرز الملمح العرفاني والتواشج بينه وبين الذات الشاعرة ومدى تأثيراته الجمالية والفنية.

الكلمات المفتاحية: المكان - الصوفية - الشعرية النسائية - المغرب - أمينة المريني.

الدراسات السابقة

الثاني: تحت عنوان: «قراءة في ديوان» خرجت من هذه الأرخبيلات» للشاعرة أمينة الميريني». مقال: «مكاشفات الميريني، أو المرور الصعب إلى الألق الروحي» (عبد السلام بوحجر، العلم الثقافي، جريدة العلم، العدد 23807. الخميس 15 رجب 1438 الموافق 13 أبريل 2017م).

الإشكالية

يشغل البحث على معالجة إشكالية ومقاربتها من زاوية: كيف قدم الشعر الصوفي المغربي المعاصر في شخص إبداع أمينة الميريني جمالية المكان؟ وما الحمولة الصوفية التي تَمَثَّلُها؟ وكيف أثَّرت تجربة الشاعرة ونظرتها الفنية في تشكيل المتخيل الاستعاري؟ وسنعالج هذه الإشكالية في الدراسة التحليلية انطلاقاً من فرضية قدرة الرؤيا الصوفية على خلق قوة تخيلية جمالية لتوسيع الدلالة الرمزية للمكان، ونسج جمالية ترتوي من المقدس، وتسخير اللغة لبناء الصورة الذهنية الكامنة/المتقدمة في الكيان.

1) المكان في اللغة

المكان في اللغة مشتق من «كَوَّنَ يَكُونُ تَكْوِينًا» الله الشيء: أخرجه من العدم إلى الوجود، وكون الشيء: ركه وألف بين أجزائه⁽¹⁾، هذا من الفعل أما من جهة المصدر فقد جاء في «لسان العرب» لابن منظور أن «المكان هو الموضع والجمع أمكنة وأماكن... وقيل الميم في المكان أصل كأنه من التمكين دون الكون»⁽²⁾، وعرفه صاحب «تاج العروس» أنه الحاوي للشيء المستقر من التمكين⁽³⁾.

(1) القاموس الجديد، علي بن هادية، بلحسن البليش، الجيلالي بالحاج يحيى (مؤلف جماعي)، تقديم محمد المسعدي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، الطبعة 5، 2984م، ص 1128.

(2) لسان العرب، ابن منظور، ج 13، ص 364 - 365.

(3) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، تحقيق عبد الكريم الغريباوي، مراجعة عبد الستار أحمد فراح، مطبعة الكويت، 1972م، ج 9، ص 348-349.

إذا كان شعر أمينة الميريني الآن يحظى بكثير من الدراسات الجامعية التي هي قيد الإنجاز ضمن بحوث الماجستير أو الدكتوراه. فإن قلة المنجز منها يشكل بعض الصعوبات، إذ الباحث لا يجد قاعدة يعتمد عليها ثم يعمل على تطويرها، وإذا ما نظرنا إلى هذه النقطة من زاوية أخرى فهي إيجابية من ناحية طرق أعمال لا تزال مغاليتها بكرا قابلة للإفصاح واستخراج الدرر، ومن البحوث والمقالات حول الموضوع، نذكر:

- بحث إجازة تحت عنوان «قراءة تجربة أمينة الميريني الشعرية» إنجاز هذا الطالب محمد نفاذ، تحت إشراف الدكتور «محمد القاسمي» كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس-فاس. الموسم الجامعي 2003/2004م.

- بحث رسالة دكتوراه: «تأويل القصيدة المغربية المعاصرة السياق والنسق» (دراسة)، د.عبد الله أحادي، تحت إشراف الدكتور جمال بوطيب. كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرارز (سابقاً) - 2006م. من منشورات مؤسسة مقاربات، فاس المغرب، وقد خصص فيها الباحث الفصل الأول ضمن الباب الثاني تحت عنوان: «جمالية الانفتاح الرؤيوي في العالم الشعري عند أمينة الميريني».

- بحث لنيل شهادة الماجستير في موضوع: «التجربة الشعرية النسائية في الشعر المغربي المعاصر، الشاعرة أمينة الميريني نموذجاً»، إنجاز الطالب: «سعيد يفلح العمراني»، تحت إشراف الدكتور: «أحمد هاشم الريسوني» و«عز الدين الشنتوف». جامعة عبد الملك السعدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مارتيل - تطوان.

- كتاب «الشعر المغربي المعاصر، قضايا وتجارب»، الدكتور يحيى عمارة، منشورات مؤسسة مقاربات، فاس، المغرب، 2016م. ضمن الكتاب مقالات:

الأول: تحت عنوان: «مكونات الخطاب الصوفي في شعر الشاعرة أمينة الميريني».

وقد ورد المكان في السياق اللغوي بمعانٍ حسية وأخرى معنوية، نستمدّها من الاستعمال القرآني بحكم أن القرآن من مصادر التقعيد اللغوي للمصطلحات، قال تعالى: «فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا»⁽⁴⁾ وقال سبحانه: «وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا»⁽⁵⁾.

فإذا كان المكان في الآية الأولى هو الموضع والمقصود به المكان الحسي، فإن الآية الثانية أشكّل تأويلها عند المفسرين، فمنهم من اعتبر القصد بالمكان المنزلة العالية والمكانة الرفيعة بين الناس، وهي منزلة النبوة التي أعلى المنازل والمراتب، ومن المفسرين من وقف على حرفية النص واعتبر المكان الحسي الحقيقي، وهو قول أكثر المفسرين.

إن استقراء الدلالات الثلاثة السابقة (الفاعل، الاسم، المعنى القرآني) يعطي تصوراً حول حمولة معنى (المكان) الذي يدل على الخلق والإيجاد، ويعني الموضع الحسي بأبعاده ومواصفاته المرئية الملموسة، كما يتضمن معنى القيمة المعنوية.

(2) شعرية المكان

نال مكون المكان حظاً أوفر من الدراسة والاهتمام في المجال السردى قياساً إلى دراسته في الشعر، وكان تناوله في أغلب الأحوال عنصراً في الخطاطة السردية.

إن شعرية (المكان) تكمن في أبعاد كثيرة تخلق الحدث كما تخلق الانفعال وتؤثر فيه أو تُثِيرُهُ «لذا فالمكان في الأدب يتجاوز وصف الأبعاد الهندسية ليصبح قيمة إنسانية تتسع مجالاتها المعرفية»⁽⁶⁾، فهو وطيء الصلة بنفسية الإبداع، إذ أن «المكان

دعامة أساسية لكل تصور إنساني وكونه منطلق كل دراسة تريد أن تدرك أبعاد النص وخلفياته النفسية والاجتماعية»⁽⁷⁾، إنه ليس مجرد وعاء دارت فيه أحداث من ذاكرتنا الفردية أو الجماعية، أو كونه مستوعباً لاستمرار حركات الإنسان في الحاضر/المستقبل وإنما تتأطر شعرية في عمقه الذي يختزل أبعاد فكرية ونفسية... إنه «يلعب (المكان) دوراً هاماً وحاسماً -ومنذ القدم- في تكوين حياة البشر وترسيخ كياناتهم وتثبيت هويتهم وتأطير طبائعهم وطَبْعُهَا بطابعه الخاص (أي طابع المكان) وبالتالي تحديد تصرفاتهم وتوجهاتها وإدراكهم للأشياء، وهذا لكونه أشد التصاقاً بحياتهم وأكثر تغلغلاً في كياناتهم وأعمق تجادلاً من دواتهم»⁽⁸⁾.

وإذا كان التراث الشعري العربي -خاصة القديم منه- احتفظ لنا بمشهد مكاني وقوة ارتباط التجربة الشعرية بالانتماء وتعليل الدوافع التي كانت وراء التواشج الوجداني، فإن الشعر المعاصر أعاد صياغة وتشكيل العلاقة بين المبدع والمكان بما تملّيه ظروف التجربة وحمولاتها الروحية وسياقاتها السياسية... فارتبط الشاعر المعاصر بالمكان وفق تجليات متعددة، أما الشعر الصوفي المعاصر في مدرسته المغربية فقد ارتقى بمكون المكان من مجرد الوصف الهندسي إلى الفضاء المتخيل صوفياً ومنه إلى العوالم المنشودة روحياً، وعليه، يمكن الحديث عن شعرية المكان في الشعر الصوفي الذي أعطاه تصوراً مختلفاً حسب منطلق الرؤيا التي تحكمه.

فكيف قدم الشعر الصوفي المغربي المعاصر في شخص إبداع أمينة المريني جمالية المكان؟ وما الحمولة الصوفية التي تَمَثَّلُهَا؟ وكيف أثّرت تجربة الشاعرة ونظرتها الفنية في تشكيل المتخيل الاستعاري؟

(4) سورة مريم. الآية: 22.

(5) سورة مريم. الآية: 56.

(6) الشعر السعدي تفاعل الواقع والفكر والإبداع، عبد الله بنصر العلوي، منشورات جامعة سيدي محمد بن عبد الله، مطبعة إيميديا، فاس، الطبعة 1، 2006م، ص 94.

(7) دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر (دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان)، قادة عقاق، منشورات اتحاد العرب، دمشق، 2001م، ص 259.

(8) نفسه، ص 259.

(فَهْلَ أَذْكَرَتْ
يا أُمِّي
فَتَاكَ الْأَشْقَرُ
الْخَضْرَا)

المكان في القصيدة جاءت في صورة امرأة تحول مع رمزيّتها من خطاب الفضاء إلى خطاب إنساني يحمل معاني التعلق والارتباط، اعتمد في ذلك الخطاب الشعري أنسنة الجأمة مما جنب شعريّة المكان في القصيدة الوقوع في الحرفيّة السطحيّة التي لا تثير القراء ولا تخلق الانفعال لديهم. فالمكان تحول إلى ذكرى حارقة في كيان الشاعرة، صهرت فيه وجدانها، وأحالت الفعل القرآني للمتلقّي على الزمن المتلاشي في الماضي، فتحوّلت القصيدة إلى عمليّة «توحيد الراهن وغير الراهن في ذاتها»⁽¹⁰⁾ على حدّ تعبير «جان كلود فيو»، وتتجلّى الغاية من بين واقع مأزوم وماضٍ حائل بيهجة الوجدان (رضعت الشمس - القمر - بستانها الأملّ - عصرت الكأس - الوتر - صوتي غيث..) لذلك انصب اهتمام الشاعرة على نقل الواقع إلى ذاكرة مشرقة في «عملية توحيد الراهن وغير الراهن، أي إيجاد ما هو مفقود»⁽¹¹⁾، وقد أبانت الشاعرة في ربط المكان بـ «الذاكرة» على «القدرة التي يتمتع بها الوعي على الانسلاخ عن الحاضر ليعود إلى الماضي، ويتحول إلى وعي لهذا الماضي، وذلك في حركة تصعيدية تسمو بالزمن»⁽¹²⁾

إن الارتباط بالمكان وبفاس الروحية أفاض على الكتابة الشعرية نوعاً من تصعيد التوتر النفسي،

وسنعالج هذه الإشكالية في الدراسة التحليلية انطلاقاً من فرضية قدرة الرؤيا الصوفية على خلق قوة تخيلية جمالية لتوسيع الدلالة الرمزية للمكان، ونسج جمالية ترتوي من المقدس، وتسخير اللغة لبناء الصورة الذهنية الكامنة/المتقدمة في الكيان.

(3) اشتغال المكان في شعر أمينة

المكان الذاكرة (= الذاكرة الصوفية)

حضر المكان في شعر أمينة الميرني من خلال ديوان «خرجت من هذه الأرخبيلات» بتلوينات مائزة إليها أنهى التصور المكاني الحاضر في سيرورة التجربة بدءاً بالإصدار الأول «ورود من زناتة»، ومنها صياغة الذاكرة الوجدانية والروحية في إطار مكاني، احتضن جوهر «البذرة» الروحية ورعى نموها في تربة تجربة وجودية. تبدو الشاعرة في الديوان في ركب سفر تجاه ذاكرة ماضية لبناء وتحقيق ذات راهنة:

عَلَى أَبْوَابِ فَاسٍ
قَدْ رَضَعْتُ الشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ
وَمِنْ بُسْتَانِهَا الْأَحْلَى
عَصَرْتُ الْكَاسَ
وَالْوَتَرَ
وَصَوْتِي غَيْثٌ أَضْلَعُهَا
تَرْقُرُقُ فِي الذَّرَى
نَهْرًا⁽⁹⁾
فَهْلَ أَذْكَرَتْ
يا أُمِّي
فَتَاكَ الْأَشْقَرُ
الْخَضْرَا،،

فاس في المقطع كما في ديوانها الأول «ورود من زناتة» شكلت كثافة مكانية وطاقة روحية تحن الذات إليها، وظفتها الشاعرة بدلالات الأمومة ومصدر الحياة لما بينهما من أزلية الارتباط، إنها فاس الحنين الطفولي:

(9) ديوان خرجت من هذه الأرخبيلات، ص 5-6.

(10) الذاكرة، جان كلود فيو، ترجمة: جورج يونس، بيروت، 1973م، ص 10.

(11) جدلية المبدع والمبدع قراءة في الأجناس الشعرية ضمن ديوان ابن حمدوس الصقلي، الحبيب العوادي، نشر: كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية، جامعة تونس، السلسلة 8، عدد 20، ط1، تونس، 2007م، ص 464.

(12) الذاكرة، جان كلود فيو، ترجمة: جورج يونس، ص 10.

وَلَكِنِّي
وَجَدْتُ الْقَيْدَ
فِي رُوحِي
يُكَبِّلُهَا⁽¹⁵⁾

الشاعرة وهي تجوب الدروب نَحَتْ صَوَّبَ لغة المكان لما يتضمن من صور تعبيرية رمزية وإشارية دقيقة ومعقدة⁽¹⁶⁾ تبحث «الخلاص عبر بحث المكان ومجاهدته (وجدت القيد - يكبلها) بالروح وتجربة العبور، يبقى (الخلاص) رغبة وشغفا أبديا منه واقعا؛ وهذا دليل عافية الروح الحائرة التي لا تظل أسيرة تفسير ظاهرتي المكان ومعالمه، بل إنها تخرقه وتنفذ إلى داخله بفيض عرفاني من خروج إلى آخر داخل فيه»⁽¹⁷⁾. وقد ذهب الدكتور «وفيق سليطين» أن المكان الاجتماعي ينعكس على الذات، ويتحول إلى عنف ممارس عليها، لأن أسطر (وجدت القيد - يكبلها) تشكل قوة سائلة تقاومها الذات وتريد تبديدها «فالتأثير الذي يتوخى الصوفي إحداثه في المكان الاجتماعي، يحدثه من خلال نفسهن أي من خلال التأثير في مكانه الذاتي الخاص»⁽¹⁸⁾.

وقد تظهر ذاكرة المكان بلبوس الوجدان الصوفي المغترب بمظهر بكائيات المتصوفة في درب الخروج من ضيق الطين إلى البحث عن فسحة ورحابة الوصول، تقول أمينة:

(15) نفسه، ص 12.

(16) سلاطين المتصوفة في العشق والمعرفة، د. نظلة أحمد الجبوري، دار المدى، ط1، 2016م، ص 91.

(17) في ديوان: «خرجت من هذه الأرخبيلات» لأمينة المريني: القصيدة داخل التوتر بين الصوفي والسيرذاتي، مجلة القدس العربي، عبد اللطيف الوراري www.alquds.co.uk/?p=668205.fct01,2017

(18) الزمن الأبدى الشعر الصوفي، الزمان، الفضاء، الرؤيا، د.وفيق سليطين، ص 156.

وكشف المكابدة من أجل العبور بالروح إلى الماضي الوجداني، وبذلك لا يمكن لهذا الباحث الدارس للديوان للمدونة الشعرية للمبدعة أن «يتصور فعل الكتابة خارج حدود التجربة المحبة للإنسان المبدع، خصوصا حينما ينزع هذا الإنسان عبر الكتابة ذاتها إلى مساءلة ذاته وعلاقته بالعالم والآخرين»⁽¹³⁾، مفهوم المساءلة للذات الشاعرة هو جنوح روحي نحو صوت الطفولة (فتاك) الحامل لسيرة الوجدان الصوفي الذي تربت عليه الشاعرة في أحضان فاس (الأم)، ففاض الحنين شعرا مُلْهِمًا من المكان (فاس) بنفحة صوفية تقول:

وَكَيْفَ الشُّعْرُ يَنْمُو
فِي مَجَازِ الْغُرْبَةِ
الْخَضْرَاءِ
وَكَيْفَ الْكَأْسُ لَا تَحْلُو
بِغَيْرِ مَوَاجِعِ
الْأَحْنَاءِ
عَرَفْتُ الشُّعْرَ
فِي الْأَضْدَادِ
أَوْ فِي دَهْشَةِ الْأَشْيَاءِ⁽¹⁴⁾

الإحساس بصدى المكان وتردده على النفس كما تتردد الأنفاس على المكان جاء برافد من روافد المعاني والإيحاءات وإلهام الشعر الموجه إلى حنين الماضي ونوستالجيا الطفولة:

تُرَانِي
قَدْ خَرَجْتُ إِلَى دُرُوبِ
كُنْتُ أَعْرِفُهَا؟
وَأَنِّي كُنْتُ فِي حُلْمِي
بَلَا كَفٍّ أَرْصُفُهَا؟

(13) الكتابة والتجربة الصوفية (نموذج محي الدين بن عربي)، منصف عبد الحق، ص 5-6.

(14) ديوان خرجت من هذه الأرخبيلات، ص 7-8.

فِي مَكَانِي
بَكْتَنِي أَشْيَاءُ
حُبْلَى بِأَشْوَاقِهَا
مَرَايَا
وَعَطُرُ
جَرَانْدُ حُمُرُ
تَطْلُعُ فِي دَهْشَةٍ
نَحْوَ طِينِي
الْغَرِيبِ
صَوَانِي⁽¹⁹⁾

يمكن تأطير المكان في النص بجملة من الملفوظات اللسانية التي تتعالق معه وتعطيه دلالة ومعنى، فمنها (مكاني) الذي جاء مسندا إلى ياء المتكلمة، لحمله على واقعية التجربة والتعبير عن ذات شاعرة، وهي قيمة (المكان) ملفوفة بما يساوقها من معجم يختزل معاني الذاكرة والشوق والحنين إلى الفضاء كما هو حنين ضمني إلى الزمن المحفور في ذاكرة ومخيلة المبدعة، إن لفظة (أشواق) ملفوظ لغوي جلب للنص الحس الدرامي لاستدعائه وإثارته أحاسيس الدهشة والغربة (دهشة-الغريب)، إن مكان الذكرى شكل عند أمينة «السجل السيرداتي بوصفه محفلا خاصا وظفته الشاعرة في الديوان وألحت عليه؛ إذ عادت إلى طفولتها، وبيتها القديم، ومراتع صباها بين دروب فاس، وتذكرت عبر هذه العودة شخصيات من مراجع حياتها الحميمي والشخصي⁽²⁰⁾»، فالمكان فالمفهوم الذي ورد تحت هذا المحور اضطلع بوظيفة تحويل الواقعي إلى نمط من الدلالة الرمزية على الظلال الروحي منه

على وجه الخصوص⁽²¹⁾، مما أضفى صورة القداسة واللمحة الصوفية على هذا المكون الرمزي، وعليه، نسعى في المحور الموالي تناول صوفية المكان باعتبار الفضاءات المقدسة.

المكان المقدس: من المرئي إلى سدره المنتهى

نسعى إلى جرد بعض الأماكن المقدسة بحمولتها الجمالية والشعرية، وعلاقتها بالحس الصوفي، ودورها في الوصول إلى المكاشفة ووصول الحقائق الربانية، والحافز الذي وجهنا إلى اعتبار المكان الصوفي ملمحا من ملامح الكشف وكسب الإشراق الروحي المحفوظ القرآني الذي علمنا أن بعض الأماكن كان لها دور في تلقي الواردات الربانية أو اتسامها بـ «البركة» و«القدسية»، والشواهد كثيرة نذكر منها قوله تعالى: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾⁽²²⁾، وقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾⁽²³⁾، وقوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٥﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾⁽²⁴⁾.

وعرف المكان المقدس حضورا أضفى معه علامة لائحة للمتلقي، وهذا مؤشر ارتباط الذات الشاعرة بأصلها الروحي، ومن تجلياتها نطرق باب الديوان الأول في قصيدة (هل ترضين عني؟):

(21) التصوف والقصص رصد لسمة التصوف في القصة المغربية القصيرة (من أواخر الأربعينيات إلى بداية الألفية الثانية)، د. خالد أقلمي، منشورات اتحاد كتاب المغرب، ط1، 2016م، ص 196.

(22) سورة طه، الآية 12.

(23) سورة الإسراء، الآية 1.

(24) سورة آل عمران، الآية: 96-97.

(19) ديوان خرجت من هذه الأرخيبيلات، ص 163-164.

(20) في ديوان: «خرجت من هذه الأرخيبيلات» لأمنية المريني: القصيدة داخل التوتر بين الصوفي والسيرداتي، عبد اللطيف الوراري، مجلة القدس العربي. www.alquds.co.uk/?p=668205

يا ليتني وليالي العشق تجمعنا
والطورُ يسمع ما نخفي وما نجدُ

والربوتان وما بالغار من وهج
والبئر في راحها الأرواحُ تحتشدُ

يا ليتني من أهيل الكهف قد زورتُ
عني ذكاءٌ وغشى جسمي الرقدُ

فتخلدُ الروحُ في أنوارِ حضرتكم
ويقفلُ الركبُ. لم يستفت في أحدٍ^(٢٥)

المكان المقدس الذي استهوى الشاعرة في هذه التجربة هو أماكن أداء مشاعر الحج أو نزول الوحي أو مكان معجزات (الربوتان- الغار- البئر- الكهف)، وقد اختارتها بوعي رمزي وإيحائي، كما استحضرت اللغة الشعرية التعبير عن التجربة الصادقة في استدعائها الواقعي في المكان مما منح قوة المصادقية للقصيدة التي نُظِمَتْ في السياق ثقل الإجراء الإداري الذي يُقَرُّ بضرورة مُضي خمس سنوات للسماح بإعادة مناسك الحج⁽²⁶⁾، والسياق برز مدى توتر الشاعرة وقلقها وقوة انفعالها الذي عبّر عنه أسلوب التمني (ليتني).

وقد استثمرت الشاعرة روحية المكان لما لها من انعكاس إيجابي متجدد على نفسيتها عامدةً إلى الأماكن التي دأب الشعراء منذ القديم التغني بها، ويعد الشريف الرضي مبتكر موضوع الحجازيات الوجداني، والذي «تدور أحداثه من حيث المكان في بيئة الحجاز ومن حيث الزمان تقال في موسم الحج وغيره... ولقد اهتم الشريف بالمكان لما يحمله من قداسة دينية نابعة من إيمانه به، ولأن هذا المكان يزرع في نفسه الطمأنينة والتوازن الناتج من كون الحجاز بأمكنتها تمثل المهد الروحي»⁽²⁷⁾.

إن القارئ يجد أمينة تتناص مع قديم الشعر وتراثه في استحضار أمكنة بعينها، لأن المكان بهذا التلاقي يتبين أنه همٌ جمعي يورق الذاكرة الجمعية كما يشحنها بطاقة قد تكون إيجابية وقد تكون العكس، «ومع اعتماد الشاعرة التراث الشعري منطلقاً، حتى لنكاد نلمس أحياناً بعض آثار التقليد، إلا أنها حريصة كل الحرص على أن تسم شعرها بميسمها الخاص، فابتهالاتها، وهي تحدد الركب إلى طيبة، كما كان يفعل الشاعر القديم، ولكن كيف لها أن تحدد الإبل وهي ابنة القرن الخامس عشر؟ هنا تتدخل ريشة الإبداع لتستبدل بالناقة مخلوقاً آخر لم يعهد الناس ركوبه، ألا وهو النسر، وهو ليس نسراً عادياً، بل من صفاته أنه نسر عظيم، أو هو من النسور الشم»⁽²⁸⁾، تقول في قصيدة (حنين):

قف بالربوع السالبات صفاتي
ألجالبات تنعمي ورضائي

يا حادي النسر العظيم أرجعة
لربوع أهل محبتي وصفائي؟

فيعود لي قلبي الذي أودعتهم
في يثرب فالحضرة الزهراء

وتكمن صوفية ما استقدمت أمينة إلى نصها كامن في قداسة الأمكنة الشعائرية وربطها بقصيدة «الفناء» في الحقائق الربانية (فتخلد الروح في أنوار حضرتكم- البئر في راحها الأرواح تحتشد)⁽²⁹⁾. فالشاعرة فطنت لأهمية المكان في الخطاب الصوفي «وأدركت رمزية لغة مفتوحة على كوامن نورانية متصلة بالذات وبالأخرة، ومشربنة لمشاهدة المحبوب والنظر إليه، وهذا لن يستقسم إلا لمن أخلص الحب؛ من معاناة، ومكابدات، وتغنت،

(25) ديوان ورود من زناته، ص 28.

(26) ينظر هامش ديوان ورود من زناته، ص 28.

(27) قراءة نقدية في حجازيات الشريف الرضي (ليلة السفح نموذجاً)، نادر عبد الكريم حقاني، مجلة التراث العربي، السنة 1426هـ، ص 55-56.

(28) بعض خصائص القول الشعري في ورود من زناته، حسن

الأمrani، ينظر تقديم ديوان ورود من زناته، ص 13.

(29) الأمثلة التي أدرجناها بين قوسين استقيناها من المقطعين السابقين وليس من المقطع الأخير فقط.

ومشاق، وصبر، وأناة، وتحير، وثبات، حتى يبلغ مبلغ السالكين، ويتدرج تدرج الصاعدين لتكشف الحجب، ويرى علام الغيوب/ المحبوب»⁽³⁰⁾.

وبالإضافة إلى الرغبة في الفناء الخالد يحضر المكان في شعر أمينة المريني بفلسفة أخرى وهي «التطهر» والخروج من الضيق إلى الأفصح، كما جاء ذلك في ثلاثية (المروتان):

المروتان

أَسْعَى بَيْنَهُمَا ظُلًّا مَشْرُوحَ الْوَجْهِينِ. وَالْوَقْعُ الْجَائِعُ يَرْوِي قِصَّةَ
طِينٍ مَصْلُوبِ الْخَطْوِ إِلَى عَطَشَيْنِ. هَرَوْتُ ... يَا مَلِكَ الصَّخْرِ
وَمَا لَكَ هَذَا الْمَاءَ، هَلْ تَغْسِلُ هَذَا الْوَشْمَ النَّاتِي خَلْفَ الْبُرْدَيْنِ⁽³¹⁾

يتضح من فلسفة الثلاثية أن للمكان خطابا صوفيا يحمل المسعى الحقيقي للشاعرة وهو التطهر الروحي، ومعه يصبح الخلاص و(التخلية) مَطْلَبًا أساسا في طريق التدرج في المقامات و(التحلية) بالواردات الإحسانية، فالسعي في المكان المقدس بين الصفا والمرورة نُزُوح إلى المكابدة وسفر في المجاهدات لغسل «الوشم الناتئ». والسعي فيه يعبر عن شوق النفس البشرية (الطينية) إلى تنقية الأدران، والرغبة في الرقي على الملموس المرئي، والدأب الحثيث إلى الصفاء والكمال الأخلاقي وتوظيف لفظتي (الماء - تغسل) إشارة إلى سر الحياة الذي خلق الله منه كل شيء وهو (الماء) رمز كثر وُروده بمعنى التنقية والتحول الروحي. فالمكان المقدس (في النص) إمكانية ضمن إمكانات متعددة لتجاوز قصور الإدراك البشري والتطلع إلى الفناء، وعوالم أخرى أجمل وأنقى من

عالمنا المشاهد، وهو وسيلة فنية شعرية لِسَوْقٍ ما يراد من المعاني بتعبير غير مباشر وإنما بإيجاء يغني النصوص الشعرية فقد يجد فيه الدارس حيوية وثراء وتكثيفا دلاليا وجماليا، كما وَجَدَتِ المبدعة فيه -قَبْلُ- وسيلة للكشف التعبيري. فالمكان الروحي انمحت أبعاده الهندسية في الشعر وأصبح رمزا، و«حيثما يوجد الرمز يتطلب فعلا تأويليا، فالترابط بينهما يدخل في طلب الاستشارة الرمزية، غير أن هذه التأويلية ليس يحددها الإنتاج النصي وحده، وإنما تتبع من رغبة المتلقي وإرادته. إن التأويل الرمزي يغدو استراتيجية تأويلية منطلقها المتلقي وموقعها النص»⁽³²⁾.

ومن تجليات تحول المكان المرئي إلى معنى روحي وجعله التقاء المشاهد والغيبى «المسجد» تقول في قصيدة (المفخرة الكبرى):

الْجَامِعُ الْحَسَنِيُّ مَفْخَرَةُ الدُّنَى
عَبْرَ الزَّمَانِ قَرِيبُهُ وَالنَّائِي

وَكَأَنَّمَا حُشِرَ الْجَمَالُ هُنَيْهَةً
فِي الصَّحْنِ وَالْمَحْرَابِ وَالْأَقْبَاءِ
دُنْيَا مِنَ السَّحَرِ الْبَدِيعِ عَلَا بِهَا
وَسَمُّ الْمُلُوكِ وَشَارَةُ الْعِظَمَاءِ
مِنْ نُضْرَةِ الْفَرْدُوسِ بَعْضُ سَمَاتِهَا
مَجْلُوءَةٌ فَتَانَةٌ لِلرَّائِي
سَبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْفَنُونَ رَوَاسِيَا
فَوْقَ الْمَحِيطِ بِضْفَةِ الْبَيْضَاءِ⁽³³⁾

(30) تأويل القصيدة المغربية المعاصرة، السياق والنسق (دراسة)، عبد الله إحدادي، مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، فاس، المغرب، ط1، 2016م، ص 205.

(31) ديوان ورود من زناتة، ص 28.

(32) النص والجسد والتأويل، فريد الزاهي، أفريقيا الشرق، ط1، 2003م، ص 57.

(33) ديوان ورود من زناتة، ص 94.

تتمثل قدسية المكان/المسجد أولاً في ذاته لأنه رمز إلى التوحيد والعقيدة الصحيحة «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا»⁽³⁴⁾، وأنه مكان ذكر وتسييح... «فِي بَيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ»⁽³⁵⁾.

ويَجْمَلُ بهذا الباحث في شعر أمينة المريني ورود هاتين الآيتين القرآنيتين لما وجدت في النص القرآني عند الشاعرة كغيرها من المتصوفة السمة البارزة في الفكر ومصدر استلهام المعاني والمعارف، «مما ولد صلة جديدة بين الصوفي والنص القرآني»⁽³⁶⁾، ولما كانت غاية أمينة/الشاعرة/المتصوفة إلى الحقيقة وإلى معاني الغيب فإنها حَمَلَتْ المكان بعدين؛ الأول: البعد الوصفي «باعتباره محاولة لتجسيد مشهد من العالم الخارجي في لوحة مصنوعة من الكلمات»⁽³⁷⁾، واشتغل هذا البعد بآليات لغوية كالخبر (مفخرة) والنعت (الحسني) والتشبيه (كأنما حشر الجمال هنيهة)... كما تعددت الموصوفات في المقطع (الجامع- الصحن- الحراب- الأقباء...). والشعر الصوفي بطبعه وجوهره لا يقف عند حدود الظاهر، لذلك نجدها تربط رمزية المكان بالمعراج الروحي وهذا هو البعد الثاني، إن شعرية التصوف من جهة بناء المعاني ترى في كل شيء طريقاً نحو الله، ومنه جاء وَسَمُ المكان بصفات الفردوس (من نضرة الفردوس بعض صفاتها) واعتمدت خاصية أسلوية

وهي التشبيه البليغ حيث حذفت أداة التشبيه ووجه الشبه، وبذلك نقلت الشاعرة المكان المقدس من مرئي موصوف بصفاته وجغرافيته (فوق المحيط بضفة البيضاء) إلى التسامي الفردوسي، وكما سبق ذكره في هذا المحور فإن المكان في الاشتغال الأدبي لا يخضع للظاهر بل يتجاوزه إلى قيم أخرى ويتسع ليستجيب لمجالات معرفة متعددة⁽³⁸⁾.

خلاصة واستنتاج

من خلال دراستنا لروحية المكان ووجدانية الفضاء في الشعر المغربي المعاصر من خلال تجربة نسائية، يمكن أن ننتهي إلى مجموعة من الخلاصات كاستنتاجات تمخضت عن الدراسة، ومنها أن الشاعرة وظفت في اشتغال المكان داخل اللحمة الشعرية مجموعة من الإسقاطات الصوفية المستمدة من التراث الروحي كرموز دالة على حمولة معرفية معينة، واستطاعت بلورتها وفق تجربتها الوجدانية والشعرية الخاصة، وإعطائها صيغة صوفية سنية غير موهلة في التصورات الفلسفية.

اشتغل المكان في النصوص المدروسة كصورة شعرية تجاوزت المألوف في التراث البلاغي، لأن أمينة المريني اختارت نهج الصوفية الذين قالوا معان لا تفهم إلا في سياق مع استحضار قصد الباحث. وهي إذ تخطو في هذا المنحى لا تخفي سراً وإنما تبحث عن متسع في الفضاء المكاني خارج ضيق اللغة التواصلية. فجاء التصوير الشعري فيضاً قلبياً يمكن أن ننتعه «الصورة الرؤيا».

(38) الشعر السعدي تفاعل الواقع والفكر والإبداع، عبد الله بنصر العلوي، ص 94، م س.

(34) سورة الجن، الآية 18.

(35) سورة النور، الآية 36.

(36) سلاطين المتصوفة في العشق والمعرفة، د. نظلة أحمد جيوري، ص 97.

(37) بداية ونهاية: قراءة وتحليل، سعيد الحنصالي، الدار البيضاء، 1995م، ص 50.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش

الدواوين الشعرية:

- ورود من زناتة، صدر عن دار السلمي الحديثة، الدار البيضاء، ط 1، 1418هـ-1997م.
- سأتيك فردا، شعر ثلاثيات أمينة المريني، منشورات حلقة الفكر المغربي، مطبعة إميديا، فاس، ط 1، 2001م.
- المكابدات، مطبعة إميديا، فاس، ط 1، 2005م.
- المكاشفات، منشورات حلقة الفكر المغربي، مطبعة أميمة، 1429هـ-2008م.
- خرجت من هذه الأرخبيلات، مطبعة بلال، فاس، 2015م.

المراجع

- التصوف والقصص رصد لسمة التصوف في القصة المغربية القصيرة (من أواخر الأربعينيات إلى بداية الألفية الثانية)، د. خالد أقلعي، منشورات اتحاد كتاب المغرب، ط 1، 2016م.
- الشعر السعدي تفاعل الواقع والفكر والإبداع، عبد الله بنصر العلوي، منشورات جامعة سيدي محمد بن عبد الله، مطبعة إميديا، فاس، ط 1، 2006م.
- الشعر السعدي تفاعل الواقع والفكر والإبداع، عبد الله بنصر العلوي، م. س.
- القاموس الجديد، علي بن هادية، بلحسن البليش، الجيلالي بالحاج يحيى (مؤلف جماعي)، تقديم محمد المسعدي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب للكتاب الجزائر، ط 5، 2984م.
- الكتابة والتجربة الصوفية (نموذج محي الدين بن عربي)، منصف عبد الحق.
- النص والجسد والتأويل، فريد الزاهي، أفريقيا الشرق، ط 1، 2003م.
- بداية ونهاية: قراءة وتحليل، سعيد الحنصالي، الدار البيضاء، 1995م.
- تأويل القصيدة المغربية المعاصرة، السياق والنسق (دراسة)، عبد الله إحادي، م. س.
- دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر (دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان)، منشورات اتحاد العرب، دمشق، 2001.
- سلاطين المتصوفة في العشق والمعرفة، د. نائلة أحمد الجبوري، دار المدى، ط 1، 2016م.
- في ديوان: «خرجت من هذه الأرخبيلات» لأمينة المريني: القصيدة داخل التوتر بين الصوفي والسيرذاتي، مجلة القدس العربي، عبد اللطيف الوراري 2017، www.alquds.co.uk/?p=668205.ftc01
- في ديوان: «خرجت من هذه الأرخبيلات» لأمينة المريني: القصيدة داخل التوتر بين الصوفي والسيرذاتي، عبد اللطيف الوراري، مجلة القدس العربي. www.alquds.co.uk/?p=668205
- قراءة نقدية في حجازيات الشريف الرضي (ليلة السفح نموذجاً)، نادر عبد الكريم حقاني، مجلة التراث العربي، السنة 1426هـ.
- لسان العرب، ابن منظور، مادة (كون)، ج 5، طبعة دار المعارف، مصر.
- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ج 9، تحقيق عبد الكريم الغرباوي، مراجعة عبد الستار أحمد فراج، مطبعة الكويت، 1972م.

دراسة بعنوان

دور القانون الدولي الإنساني في حماية الأسرى في أثناء النزاعات المسلحة «قراءة في اتفاقية جنيف الثالثة» (دراسة قانونية)

د. عبد الوهاب كريم حميد - عُمان

دكتوراه في الحقوق/شعبة القانون العام
أستاذ القانون الدولي والعلاقات الدولية المساعد بجامعة السلطان قابوس،
وموجه أكاديمي ومقيم بحوث الدراسات العليا بكلية الدفاع الوطني/مسقط،
وباحث في مركز الدراسات الاستراتيجية والأبحاث الاجتماعية
في كلية الحقوق/جامعة محمد الخامس بالرباط



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ
خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠).

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على آليات حماية ضحايا النزاعات المسلحة، ومدى احترام الدول المتنازعة لقواعد القانون الدولي الإنساني طبقاً لاتفاقية جنيف الثالثة 1949 الخاصة بحماية أسرى الحرب وفقاً لقواعد القانون الدولي الإنساني الذي يكفل حماية الأشخاص الذين لا يشاركون في القتال كالمدنيين، وعمال الإغاثة، ورجال الدين، والصحفيين... أو الأشخاص الذين لم يعودوا قادرين على المشاركة فيه، مثل: الجرحى، والفرقى، وأسرى الحرب، إذ يطبق القانون الدولي الإنساني في حالات: -النزاعات المسلحة الدولية- النزاعات المسلحة غير الدولية ولا ينطبق القانون الدولي الإنساني على التوترات والاضطرابات الداخلية.

أهمية البحث وأهدافه: تتجلى أهمية البحث من الناحيتين النظرية والعملية في أن أغلب النزاعات المسلحة تفرز وجود فئة معينة تقع في الأسر من جانب الخصم، مما يترتب من حقوق وواجبات، وعليه يتوجب توفير الحماية القانونية لهذه الفئة.

منهج الدراسة: تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي في تشخيص الإطار القانوني لاتفاقية جنيف الثالثة، وتحليل نصوصها القانونية بما يتصل بحياة الأسير وتمتعته بالحقوق، وخدمات الدولة الحامية.

وانتهى البحث بخاتمة ونتائج تعزز من أهمية القانون الدولي الإنساني في حماية الأسرى في النزاعات المسلحة.

الكلمات المفتاحية: أسير الحرب - النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية- اتفاقيات جنيف - اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

The role of international humanitarian law in the protection of prisoners during armed conflict

“Reading in the Third Geneva Convention”

The purpose of this study is to shed light on mechanisms for the protection of victims of armed conflict and whether the conflicting countries have respected the rules of international humanitarian law in accordance with the Geneva Convention relative to the Protection of Prisoners of War.

In accordance with the rules of international humanitarian law that ensure the protection of persons not taking part in hostilities such as civilians or persons who are no longer able to participate, such as wounded, drowned and prisoners of war.

Where international humanitarian law applies in situations

- International armed conflicts.
- Non-international armed conflicts.

The importance of research and its objectives: The importance of theoretical and practical research is that most armed conflicts lead to the existence of a certain category in the family by the opponent.

Study Methodology and Research Plan The analytical descriptive approach was adopted in diagnosing the legal framework of the Third Geneva Convention and analyzing its legal texts

The study concluded with conclusions, conclusions and recommendations on enhancing the importance of international humanitarian law in the protection of prisoners in armed conflict.

Key terms: Prisoners of war - International and non-international armed conflicts - Geneva Conventions - International Committee of the Red Cross.

المقدمة

تمثل ظاهرة الأسر معضلة إنسانية ومتلازمة في جميع الحروب والنزاعات المسلحة، ومع تشابك مظاهر النزاعات المسلحة والحروب في الوقت الحاضر، واختلاف أطراف النزاع، فلم يعد النزاع مقتصرًا على دولة وأخرى أو مجموعة دول بل تعداه إلى المجموعات والفاعلين من غير الدول، كالتنظيمات الإرهابية والمليشيات المسلحة (القاعدة-بوكو حرام-داعش-المليشيات المسلحة المختلفة.... إلخ)، والتي باتت في الوقت الحاضر تعد طرفاً أساسياً في جميع النزاعات المسلحة في دول العالم عامة وفي منطقة الشرق الأوسط خاصة.

انتشرت هذه الظاهرة في بعض النزاعات بعد موجة ما سمي (الحرب على الإرهاب) التي قادتها الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001. وشنت حرباً ضد أفغانستان ثم عدواناً واحتلالاً للعراق منتهكة حقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني خاصة في معاملة المعتقلين «الأسرى» من أفغانستان والعراق وباقي دول العالم سواء في معتقل غوانتانامو بكوبا أو سجن أبو غريب في العراق.

كما أسهمت ثورات «الربيع العربي» بسقوط أنظمة عربية حاكمة كما حصل في تونس ومصر وليبيا واليمن، وما زال الصراع مستمراً في سوريا بين القوات النظامية والمليشيات الإيرانية والعراقية واللبنانية الموالية لها والمعارضة من جهة، وبين التنظيمات الإرهابية من جهة أخرى، وما رافقها من انتهاكات لحقوق الإنسان ومنهم الأسرى والمعتقلين.

إن هذه النزاعات «الجديدة» خلفت مئات الآلاف من الضحايا الأبرياء بل أن مدناً كاملة أصبحت أسيرة بيد تنظيمات إرهابية كما حصل في العراق وسوريا وليبيا واليمن.

وفي ظل هذه النزاعات المسلحة لم يعد الصراع قائماً بين دول وأخرى بل داخل الدولة نفسها بين مجاميع مسلحة، وأخرى حكومية، ولم

يراع فيها احترام القانون الدولي الإنساني وقواعده، من هنا تلعب اللجنة الدولية للصليب الأحمر دورها في حماية ضحايا النزاعات المسلحة الدولية أو غير الدولية.

بينما لا ينطبق القانون الدولي الإنساني على التوترات والاضطرابات الداخلية فهي تتسم بتمزق خطير للنظام الداخلي نتيجة أعمال عنف لا تمثل مع ذلك نزاعاً مسلحاً (أعمال الشغب والصراعات بين الفصائل أو ضد السلطات الحاكمة مثلاً)⁽¹⁾.

مشكلة الدراسة

تتلخص المشكلة في دور القانون الدولي الإنساني في حماية الأسرى في أثناء النزاعات المسلحة، حيث من مهامه حماية حقوق الأسرى من خلال الاتفاقيات والمعاهدات، وبالتحديد اتفاقية جنيف الثالثة لسنة 1949. وما مدى صحة الفرضية التي تشير إلى أن القانون الدولي الإنساني قد قام بواجبه في حماية الأسرى طبقاً لاتفاقية جنيف الثالثة لسنة 1949.

أهمية الدراسة

تكمُن أهمية هذه الدراسة من الناحيتين النظرية والعملية في كونها تبحث في دور القانون الدولي الإنساني في حماية الأسرى في أثناء النزاعات المسلحة، ومع دخول أطراف من غير الدول كفاعلين في تلك النزاعات؛ لذا وجب توفير الحماية القانونية لمن يقع في الأسر.

أما الأهمية العملية فتكمُن من خلال آليات الإشراف والرقابة على تنفيذ القانون الدولي الإنساني، والجهات المسؤولة من خلال نظام الدولة الحامية - ودور اللجنة الدولية للصليب الأحمر سواء على المستوى القانوني أو الميداني.

(1) اللجنة الدولية للصليب الأحمر (2011)، «القانون الدولي الإنساني: إجابات عن أسئلتك» اللجنة الدولية للصليب الأحمر الطبعة الخامسة، أكتوبر/ تشرين الأول. ص 5.

أهداف الدراسة

- المنهج التاريخي: من حيث دراسة الوقائع التاريخية لدور القانون الدولي الإنساني في حماية ضحايا النزاعات المسلحة، وتتبع مراحل تطور مصادره.

حدود البحث: تمثلت حدود الدراسة فيما يلي:

الحدود المكانية (الجغرافية): تغطي هذه الدراسة دور القانون الدولي الإنساني في حماية الأسرى في أثناء النزاعات المسلحة في مناطق العالم التي تشهد نزاعات مسلحة دولية أو غير دولية، وتركز الدراسة على بعض اتفاقيات جنيف الأربع وبالخصوص اتفاقية جنيف الثالثة لسنة 1949 لمعاملة أسرى الحرب، خلال النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية.

الحدود الزمنية: سيتم إجراء هذه الدراسة في الفترة التي تم فيها إبرام اتفاقيات جنيف الأربع وبالخصوص اتفاقية جنيف الثالثة الخاصة بمعاملة أسرى الحرب، ثم إبرام البروتوكولين الإضافيين لعام 1977. وما استجد من آليات تنفيذ قواعد القانون الدولي الإنساني.

الدراسات السابقة

اطلع الباحث على العديد من الدراسات السابقة، منها دراسات الماجستير والدكتوراه، ومنها بحوث محكمة، وكتب ودراسات... كما أن هذه الدراسات السابقة وإن اختلفت في مضامينها إلا أنها قد قاربت في أفكارها أفكار دراساتنا، ومن هذه الدراسات:

- دراسة غنيم، عبد الرحمن (2018) منشورات المركز الديمقراطي العربي بعنوان: «الحماية القانونية للأسرى وفقاً لأحكام القانون الدولي الإنساني: دراسة تطبيقية على وضع الأسرى

- التعرف على دور القانون الدولي الإنساني في حماية ضحايا النزاعات المسلحة.

- التعرف على آليات احترام الدول المتنازعة لقواعد القانون الدولي الإنساني طبقاً لاتفاقية جنيف الثالثة لسنة 1949، الخاصة بحماية أسرى الحرب.

- توضيح دور اللجنة الدولية للصليب الأحمر في نشأت القانون الدولي الإنساني ونشره وتطويره.

- التعرف على مفاهيم النزاعات المسلحة الدولية أو غير الدولية.

أسئلة الدراسة

- ما القانون الدولي الإنساني؟ وما دوره في حماية ضحايا النزاعات المسلحة؟

- ما النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية؟

- ما آليات حماية ضحايا النزاعات المسلحة؟

- ما آليات احترام الدول المتنازعة لقواعد القانون الدولي الإنساني طبقاً لاتفاقية جنيف الثالثة لسنة 1949، الخاصة بحماية أسرى الحرب.

- ما دور اللجنة الدولية للصليب الأحمر في تطوير ونشر القانون الدولي الإنساني.

فرضية الدراسة: تقوم فرضية الدراسة على:

- هل أدى القانون الدولي الإنساني دوره في حماية أسرى الحرب طبقاً لاتفاقية جنيف الثالثة لسنة 1949.

- مدى احترام الأطراف المتنازعة لقواعد القانون الدولي الإنساني في معاملة الأسرى معاملة إنسانية.

منهج الدراسة: تركز هذه الدراسة على المنهجية الآتية:

- المنهج الوصفي التحليلي: الذي يصف ظاهرة أسرى الحرب، ودور القانون الدولي الإنساني في حمايتهم، وتشخيص الإطار القانوني لاتفاقية جنيف الثالثة، وتحليل نصوصها.

الفلسطينيين»⁽²⁾. تتمحور الفكرة الأساسية لهذه الدراسة في الدور الذي يلعبه القانون الدولي الإنساني في حماية الأسرى نتيجة الحرب.

تمثلت أهمية الدراسة في كونها تدرس حالة قضية الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال الإسرائيلي، والانتهاكات النفسية والجسدية التي تمارسها دولة الاحتلال تجاه الأسرى والتي تعد انتهاكاً صارخاً للقانون الدولي الإنساني. وتوصلت هذه الدراسة إلى العديد من النتائج من أبرزها: أن القانون الدولي الإنساني عمل على توفير الحماية القانونية لأسرى الحرب. ولم تطبق على الأسرى الفلسطينيين من حيث المعاملة والحصول على الحقوق، التي يتمتع بها أسير الحرب.

- دراسة بلعيش، فاطمة (2016) بعنوان «حماية أسرى الحرب في القانون الدولي الإنساني»⁽³⁾ التي ركزت على ظاهرة الأسرى في النزاعات المسلحة، وتناولت الاتفاقيات التي عالجت مشكلة الأسرى منها اتفاقية جنيف 1929، إذ اختتم القانون الدولي الإنساني تطوره بشأن معاملة أسرى الحرب بالاتفاقية الثالثة من اتفاقيات جنيف المنعقدة سنة 1949، ثم جاء البروتوكول الإضافي الأول لسنة 1977، وخصص بعض مواده للمقاتلين، وأسرى الحرب الذي أقر بتمتع أسرى الحرب بحماية كبيرة.

(2) غنيم، عبد الرحمن علي إبراهيم (2018)، «الحماية القانونية للأسرى وفقاً لأحكام القانون الدولي الإنساني: دراسة تطبيقية على وضع الأسرى الفلسطينيين» منشورات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ط1. برلين - ألمانيا.

(3) بلعيش، فاطمة (2008) «حماية أسرى الحرب في القانون الدولي الإنساني» رسالة ماستر في العلوم القانونية والإدارية، جامعة حسيبة بن بوعلي الجزائر.

- دراسة بوزبان، رحيمة (2016) بعنوان: «أسرى الحرب في القانون الدولي الإنساني» تناولت هذه الدراسة تحديد الأشخاص المعبرين أسرى حرب عن غيرهم من ضحايا النزاعات المسلحة، وتوضيح مدى قوة قواعد القانون الدولي الإنساني للتخفيف من ويلات الأسر وآلامه، وما السبل الكفيلة بتنفيذ قواعد القانون الدولي الإنساني لحماية أسرى الحرب من تعسف أسريهم.

وهدف الدراسة إلى توضيح الانتهاكات الخطيرة التي يتعرض لها الأسرى رغم التطور الهائل في المنظومة القانونية. ومن أبرز نتائج الدراسة: أن القانون الدولي الإنساني قد كفل حماية حقوق الأسرى الحرب ضمن الاتفاقيات والمعاهدات الدولية.

- دراسة (العنزي، رشيد حمد (2004) بعنوان: (معتقلو غوانتانامو بين القانون الدولي الإنساني ومنطق القوة)⁽⁴⁾ المنشور في مجلة الحقوق-جامعة الكويت العدد الرابع، بتاريخ 28 ديسمبر/كانون الأول 2004. تناولت هذه الدراسة أهم الحقوق التي يكفلها القانون الدولي الإنساني، ومنها اتفاقيات جنيف الأربعة لسنة 1949، والبروتوكولين الإضافيين لسنة 1977، للمعتقلين وخاصة أسرى الحرب الذين وقعوا في الأسر من قبل قوات المسلحة للولايات المتحدة الأمريكية، وتعارض منطق القوة التي تفرضه الدول الغربية، ومنها الولايات المتحدة الأمريكية وتكييفه

(4) العنزي، رشيد حمد (2004) (معتقلو غوانتانامو بين القانون الدولي الإنساني ومنطق القوة) مجلة الحقوق، جامعة الكويت العدد الرابع.

بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، مع ميثاق الأمم المتحدة الذي يحرم استخدام القوة في العلاقات الدولية.

التعقيب على الدراسات السابقة

بينت الدراسات السابقة دور القانون الدولي الإنساني في حماية ضحايا النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية، وإبرام اتفاقيات جنيف الأربع لسنة 1949 كقواعد قانونية ملزمة لأطراف النزاع بحمايتهم في الحفاظ على أرواح الأبرياء من المدنيين الذين يقعون في ساحات القتال، وضرورة حمايتهم من أي اعتداء جسدي أو نفسي في أثناء الأسر وإطلاق سراحهم بعد انتهاء النزاع ونهاية الحرب.

تناولت أولى الدراسات السابقة من خلال حالة خاصة بأسرى الفلسطينيين في سجون دولة الاحتلال الإسرائيلي دراسة (غني، 2018). أما دراسة (العزري، 2012)، فركزت على الجانب الجنائي البحت دون التوسع بقواعد القانون الدولي الإنساني الأخرى. بينما دراسة (بوزيان، 2016) شخّصت الأشخاص المعتبرين أسرى الحرب، أما دراستنا فحاولت الإلمام بكل جوانب وضعية أسرى الحرب، ودور القانون الدولي الإنساني في توفير الحماية الكافية طبقاً لاتفاقية جنيف الثالثة لسنة 1949. نأمل أن تكون هذه الدراسة إضافة قيمة واسهاماً علمياً مفيداً ومكملاً للجهود العلمية السابقة.

وما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة إنها اهتمت في تشخيص دور القانون الدولي الإنساني في حماية الأسرى وفقاً للاتفاقية جنيف الثالثة التي سيتم التوسع فيها.

مصطلحات الدراسة

ولتوضيح تلك المفاهيم والمصطلحات سيتم تعريفها تباعاً كما يأتي:

- النزاعات المسلحة الدولية: تعرف بأنها تلك التي تشتبك فيها دولتان أو أكثر بالأسلحة، وتلك التي تكافح فيها الشعوب ضد السيطرة الاستعمارية أو الاحتلال الأجنبي أو ضد جرائم التمييز العنصري وتخضع هذه النزاعات لعدد كبير من القواعد بما فيها تلك المنصوص عليها في اتفاقيات جنيف الأربع والبروتوكول الإضافي الأول⁽⁵⁾.

- النزاعات المسلحة غير الدولية: بحسب تعريف الأستاذ «جان بكتيه»، فإنه نزاع يدور بين القوات الحكومية وقوات مسلحة منشقة أو مجموعات مسلحة منظمة، عندما تمارس هذه المجموعات سيطرة على جزء من أراضي البلد وتحت قيادة مسؤولة، بحيث تتمكن من إدارة عمليات عسكرية متصلة ومنسقة، ومن تطبيق البروتوكول الإضافي الثاني لسنة 1977⁽⁶⁾.

- أسير الحرب: «هو كل فرد من أفراد القوات المسلحة التابعة لأحد أطراف النزاع، وهو مقاتل وكل مقاتل يقع في قبضة الطرف الخصم هو أسير حرب»⁽⁷⁾.

(5) اللجنة الدولية للصليب الأحمر (1991)، احترام القانون الدولي الإنساني وكفالة احترامه، دليل عمل الاتحاد البرلماني الدولي رقم 1، ص 13.

(6) بكتيه، جان (1984)، «القانون الدولي الإنساني، تطوره ومبادئه»، جنيف، 12-366، ص 51.

(7) اللجنة الدولية للصليب الأحمر (2016) «القواعد الأساسية لاتفاقيات جنيف وبروتوكولها الإضافيين» ط 6، ص 24.

المبحث الأول: الأساس القانوني لمبدأ حماية الأسرى في الحرب: اتفاقية جنيف الثالثة والمصادر الأخرى

لا بد من تعريف الأسرى (الأسير) قبل التطرق إلى الأساس القانوني والأحكام الخاصة بهم؛ إذ يقصد بأسير الحرب (كفرد أو مقاتل من أفراد القوات المسلحة التابعة لأحد أطراف النزاع يقع في قبضة العدو أو أيدي الخصم، وفي تعريف آخر للأسير⁽¹⁰⁾ «هو كل مقاتل يقع في قبضة العدو في أثناء العمليات الحربية».

المطلب الأول: الأساس القانوني لمبدأ حماية أسرى الحرب

يرجع تاريخ الأسر إلى الحضارات القديمة، وكانت العادة السائدة في العصور القديمة تقضي أن يقتل جميع الأسرى من الأعداء في ساحة العمليات العسكرية للانتقام منهم والتخلص من الأعباء المترتبة على أسرهم⁽¹¹⁾، وعلى الرغم من حداثة نشوء القانون الدولي الإنساني إلا أن ذلك لم يمنع من وجود جذور له في سلوك بعض القادة العسكريين عبر التاريخ، القانون الدولي الإنساني يأمرهم جنودهم بعدم قتل الأسرى وحسن معاملتهم، وعدم إيذاء السكان المدنيين المنتمين للعدو⁽¹²⁾.

(10) فهمي، مصطفى خالد (2011)، «القانون الدولي الإنساني: الأسس والمفاهيم وحماية الضحايا»، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ط1، ص167.

(11) بوزبان، رحيمة (2016) «أسرى الحرب في القانون الدولي الإنساني» رسالة ماستر في الحقوق-جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان الجزائر. ص5.

(12) بن عمران، إنصاف (2009) «دور اللجنة الدولية للصليب الأحمر في تنفيذ قواعد القانون الدولي»، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الحاج خضر، باتنة، الجزائر. ص26.

- اللجنة الدولية للصليب الأحمر: واللجنة الدولية منظمة مستقلة ومحايدة تضمن الحماية والمساعدة في المجال الإنساني لضحايا النزاعات المسلحة، وحالات العنف الأخرى. وتتخذ إجراءات لمواجهة حالات الطوارئ، وتعزز في الوقت ذاته احترام القانون الدولي الإنساني، وإدراجه في القوانين الوطنية⁽⁸⁾.

- اتفاقيات جنيف: اتفاقية جنيف هي عبارة عن أربع اتفاقيات دولية تمت الأولى منها في 1864 والأخيرة في 1949 تتناول حماية حقوق الإنسان الأساسية في حالة الحرب، أي طريقة الاعتناء بالجرحى، والمرضى، وأسرى الحرب، حماية المدنيين الموجودين في ساحة المعركة أو في منطقة محتلة إلى آخره⁽⁹⁾.

خطة الدراسة

تتمحور خطة الدراسة من المقدمة ومبحثين ثم الخاتمة ونتائج البحث.

(8) اللجنة الدولية للصليب الأحمر من الرابط:

<https://www.icrc.org/ar/who-we-are>.

(9) فليب شيبوري (2009) مدير القانون الدولي- اللجنة الدولية للصليب الأحمر (اتفاقيات جنيف لعام 1949: أصولها وأهميتها الراهنة) من الرابط:

<https://www.icrc.org/ara/resources/documents/state-statement/geneva-conventions-statement-120809.htm>.

وكان المتحاربون عادة يلجؤون إلى تبادل الأسرى فيما بينهم، ومع الزمن تشكلت قواعد عرفية للحرب، وعليه فإن العرف الدولي سابق لظهور الاتفاقيات والمعاهدات الدولية⁽¹³⁾.

إن الشريعة الإسلامية استطاعت (منذ أكثر من 14 قرن وفي زمن اتسم بالفوضى والقهر والاستعباد) إرساء قواعد نظام إنساني يشتمل على أحكام متقنة تتعلق بالحرب، والقتال، ومعاملة الجرحى والقتلى والأسرى والمدنيين والمنشآت المدنية والدينية⁽¹⁴⁾؛ إذ أوصى الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) قادة الجيوش الإسلامية بالأسرى خيراً. إن هذه الوصية حولت حياة الأسرى إلى خير في أيدي الصحابة⁽¹⁵⁾، ولعل هذه الوصية تنطلق من الآية الكريمة «وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً» (الإنسان: 8)، وكرر الخلفاء الراشدون من بعده هذه الوصية، إذ كانت وصاياهم تتعلق بعدم قتل الأفراد غير المحاربين، لاسيما أرباب الصوامع والصغار والنساء والشيوخ، وبعدم عقر الحيوانات إلا للأكل، وبعدم قطع الأشجار المثمرة أو حرقها⁽¹⁶⁾. وتخضع معاملة أسرى الحرب في الوقت الحاضر للقواعد التي وضعتها لائحة

لاهاي للحرب البرية (المواد 20-4) واتفاقية جنيف الثالثة المبرمة في 12 أغسطس سنة 1949 بشأن معاملة أسرى الحرب⁽¹⁷⁾. كما أن المحكمة الجنائية الدولية حرمت جريمة (الرق والعبودية) للأسرى حيث نصت المادة (7/1 ج) من نظام المحكمة الجنائية الدولية على هذه الجريمة بوصفها إحدى صور الجرائم ضد الإنسانية⁽¹⁸⁾.

إن النظام القانوني لحماية أسرى الحرب في النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية تبناه القانون الدولي الإنساني، من خلال المعاهدات والاتفاقيات التي تعد مصدراً مهماً من مصادر القانون الدولي الإنساني⁽¹⁹⁾.

وقد نصت (المواد المشتركة بين اتفاقيات جنيف الأربع لسنة 1949 المواد 12/12/13، في الفقرة الثانية) بالقول: «.... على أطراف النزاع الذين يكونون تحت سلطته أن يعاملهم معاملة إنسانية، وأن يعنى بهم، ويحظر بشدة أي اعتداء على حياتهم أو استعمال العنف معهم،»⁽²⁰⁾.

(13) المهداوي، أنمار (2015) «مفهوم القانون الدولي الإنساني» موقع الحوار المتمدن، العدد: 5025 - 26 ديسمبر، ص 15.

(14) المجذوب، محمد (2007)، «لقانون الدولي العام» منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت - لبنان، ط 6، ص 866.

(15) علي، جعفر عبد السلام (2013) «أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية» المؤتمر الدولي الأول للسيرة النبوية الشريفة جامعة إفريقيا العالمية الخرطوم-السودان، 11-12 يناير من الرابط: <http://www.islamicrabta.com/in-dex.php?pageshow=showarticle&id=32>

تاريخ الاسترجاع 18 يناير 2019.

(16) المجذوب، محمد (2007)، المصدر السابق، ص 866.

(17) أبوهيف، علي صادق (1981) «القانون الدولي العام -...» منشأة المعارف، الإسكندرية، ص 715.

(18) حجازي، عبد الفتاح بيومي (2005) «المحكمة الجنائية الدولية»، دار الفكر العربي، الإسكندرية، مصر، ص 527-529.

(19) مصادر القانون الدولي الإنساني، الموسوعة السياسية، الرابط [https://political-encyclopedia.org/dictionaryD9%](https://political-encyclopedia.org/dictionaryD9%20)

تاريخ الاسترداد 2019/1/16.

(20) العنبيكي، نزار (2010)، القانون الدولي الإنساني، دار وائل للنشر، ط 1، عمان، ص 55.

المطلب الثاني: قراءة في اتفاقية جنيف الثالثة⁽²¹⁾ لسنة 1949

تتمثل اتفاقية جنيف الثالثة الموقعة في 12 آب/أغسطس لسنة 1949 الإطار القانوني الذي وضع قواعد معاملة أسرى الحرب بين الدول وحددت الواجبات التي تبين للدول الاسرة فرضها على الاسرى⁽²²⁾.

حلت هذه الاتفاقية محل اتفاقية أسرى الحرب لعام 1929. وتضم 143 مادة في حين اقتصرت اتفاقية 1929 على 97 مادة فقط. وتم توسيع نطاق فئات الأشخاص الذين لهم الحق في التمتع بوضع أسرى الحرب طبقاً للاتفاقيتين الأولى والثانية. وتم صياغة تعريف أدق لظروف الاعتقال، ومكانه، وخاصة ما يتعلق بعمل أسرى الحرب، ومواردهم المالية، والإعانات التي يتسلمونها، والإجراءات القضائية المتخذة ضدهم. وقد أقرت الاتفاقية مبدأ إطلاق سراح الأسرى، وإعادةتهم إلى وطنهم من دون تأخير بعد انتهاء الأعمال العدائية. وتضم الاتفاقية أيضاً خمسة ملاحق تضم لوائح النماذج المختلفة، وبطاقات التعريف، وبطاقات أخرى⁽²³⁾، وتضمنت الوضع القانوني لأسرى الحرب، والمعاملة الواجبة لهم ابتداءً من عملية الأسر وبما يكفل حمايتهم وعدم الإساءة لهم، وفرضت حظراً مشدداً على ارتكاب أي أعمال انتقامية ضدهم، وأكدت على حقهم في تلقي خدمات الدولة الحامية، وخدمات اللجنة الدولية

لصليب الأحمر، وأقرت مبدأ الرقابة الدولية على تطبيق هذه الاتفاقية. كما يعد من المقاتلين أسرى الحرب الذين ورد ذكرهم في المادة 4 من اتفاقية جنيف الثالثة الخاصة بحماية أسرى الحرب، والتي نصت على أنه «... أسرى الحرب بالمعنى المقصود في هذه الاتفاقية هم الأشخاص الذين ينتمون إلى إحدى الفئات التالية⁽²⁴⁾، أو يقعون في قبضة العدو» ويصنفهم المهداوي (2015)⁽²⁵⁾ إلى:

- 1- أفراد القوات المسلحة لأحد أطراف النزاع، والمليشيات أو الوحدات المتطوعة التي تشكل جزءاً من هذه القوات المسلحة.
- 2- أفراد الميليشيات الأخرى والوحدات المتطوعة الأخرى، بمن فيهم أعضاء حركات المقاومة المنظمة، الذين ينتمون إلى أحد أطراف النزاع ويعملون داخل أو خارج إقليمهم، حتى ولو كان هذا الإقليم محتلاً، على أن تتوفر الشروط التالية في هذه الميليشيات أو الوحدات المتطوعة، بما فيها حركات المقاومة المنظمة المذكورة⁽²⁶⁾.
- أ- أن يقودها شخص مسؤول عن مرؤوسيه.
- ب- أن تكون لها شارة مميزة محددة يمكن تمييزها عن بعد.
- ج- أن تحمل الأسلحة جهرًا.
- د- أن تلتزم في عملياتها بقوانين الحرب وعاداتها.
- 3- أفراد القوات المسلحة النظامية الذين يعلنون ولاءهم لحكومة أو سلطة لا تعترف بها الدولة الحاضرة.

(24) ينظر: نص المادة 4 من اتفاقية جنيف الثالثة لسنة 1949 بشأن معاملة أسرى الحرب.

(25) المهداوي، انمار (2015) «مفهوم القانون الدولي الإنساني» موقع الحوار المتمدن،

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=498213> 25/12/2018 تاريخ الاسترداد.

(26) سوادي، عبد علي محمد (2017)، حماية المدنيين في أثناء النزاعات المسلحة، المركز العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، ص147.

(21) نص اتفاقية جنيف الثالثة بشأن معاملة أسرى الحرب، مكتبة حقوق الإنسان، جامعة منيسوتا، تاريخ الاسترداد 2018/6/19. من الرابط:

hrlibrary.umn.edu/arab/b092.html.

(22) عبد العزيز، مصلح حسن (2012)، «حقوق الأسير والتزاماته في القانون الدولي» ط1، دار البداية، عمان-الأردن، ص 10.

(23) <https://www.icrc.org/ara/war-and-law/treaties-customary-law/geneva-conventions/overview-geneva-conventions.htm>.

4- الأشخاص الذين يرافقون القوات المسلحة دون أن يكونوا في الواقع جزءاً منها، كالأشخاص المدنيين الموجودين ضمن أطقم الطائرات الحربية، والمراسلين الحربيين، ومتعهدي التمويل وأفراد وحدات العمال أو الخدمات المختصة بالترفيه عن العسكريين، شريطة أن يكون لديهم تصريحاً من القوات المسلحة التي يرافقونها.

5- أفراد الأطقم الملاحية بمن فيهم القادة والملاحون ومساعدوهم في السفن التجارية، وأطقم الطائرات المدنية التابعة لأطراف النزاع الذين لا ينتفعون بمعاملة أفضل بمقتضى أي أحكام أخرى من القانون الدولي.

6- سكان الأراضي غير المحتلة الذين يحملون السلاح من تلقاء أنفسهم عند اقتراب العدو لمقاومته، دون توفر الوقت لتشكيل وحدات مسلحة نظامية، شريطة أن يحملوا السلاح جهاً وأن يراعوا قوانين الحرب وعاداتها.

7- كذلك يصنف من يقع في الأسر كل من رئيس دولة العدو ووزراءها وكبار موظفيها الذين يتولون مهام رئيسية لها اتصال بالنشاط الحربي وإذا عثر على أحدهم في ميدان القتال أو في دائرته⁽²⁷⁾.

أما المادة 43 من البروتوكول الإضافي الأول لسنة 1977⁽²⁸⁾ فتصت على أنه:

1- تتكون القوات المسلحة لطرفي النزاع من كافة القوات المسلحة والمجموعات والوحدات النظامية التي تكون تحت قيادة مسؤولة عن سلوك مرؤوسيه قبل ذلك الطرف حتى ولو كان ذلك الطرف ممثلاً بحكومة أو بسلطة لا يعترف الخصم بها، ويجب أن

تخضع مثل هذه القوات المسلحة لنظام داخلي يكفل فيما يكفل اتباع قواعد القانون الدولي التي تطبق على النزاع⁽²⁹⁾.

2- يعد أطراف القوات المسلحة لطرف النزاع (عدا أفراد الخدمات الطبية والوعاظ الذين تشملهم المادة 33 من الاتفاقية الثالثة) مقاتلين بمعنى إن لهم الحق في المساهمة المباشرة في الأعمال العدائية. ويتربط على ذلك:

أ- حقهم في المساهمة المباشرة في الأعمال العسكرية، بالشكل المحدد قانوناً.

ب- استفادتهم من مركز أسير حرب عند وقوعهم في قبضة الطرف الخصم بموجب أحكام الاتفاقية الثالثة من اتفاقيات جنيف الأربعة.

ج- حق الطرف الخصم في استهدافهم بالأعمال العسكرية مع مراعاة القواعد القانونية المحددة لممارسة هذا الحق⁽³⁰⁾.

يشترط في الشخص لكي يكون مقاتلاً أن ينتمي إلى قيادة مسؤولة عن سلوك عناصرها، وأن يخضع المقاتلين لنظام داخلي، يكفل تنفيذ قواعد القانون الدولي⁽³¹⁾، ويعد الجرحى والمرضى والغرقى التابعون لدولة محاربة الذين يقعون في قبضة الخصم، أسرى حرب⁽³²⁾، وتطبق عليهم أحكام القانون الدولي المتعلقة بأسرى الحرب وللطرف الأسر أن يقرر تبعاً للظروف، ما إذا كان من المناسب أن يستبقهم أو ينقلهم إلى أحد الموانئ في بلده أو في بلد محايد...، (المادة 14،

(29) الهيتي، نعمان عطا الله (2008)، «قانون الحرب أو القانون الدولي الإنساني/الجزء الثاني» دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ص 14.

(30) بن عمران، انصاف (2009)، «دور اللجنة الدولية للصليب الأحمر في تنفيذ قواعد القانون الدولي»، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الحاج خضر، باتنة، الجزائر. ص 39.

(31) بن عمران، انصاف (2009)، المصدر السابق ص 37.

(32) الهيتي، نعمان عطا الله (2008)، المرجع السابق ص 70.

(27) أبو هيف، علي صادق (1981)، مصدر سابق ص 715.

(28) الملحق (البروتوكول) الأول الإضافي إلى اتفاقيات جنيف، 1977، من لل رابط <https://www.icrc.org/ar/doc/resources/docu-ments/misc/5ntccf.htm> تاريخ الاسترداد 2019/1/12.

من اتفاقية جنيف الأولى، والمادة 16 من اتفاقية جنيف الثانية⁽³³⁾، ووفق المادة 12 من الاتفاقية يراعى أن أسرى الحرب يكونون تحت سلطة دولة العدو، لا تحت سلطة الافراد أو الوحدة العسكرية التي أسرتهم؛ لذا تعد الدولة الحائزة مسؤولية عن كيفية معاملتهم، ويجب ترحيل الأسرى إلى معسكرات تقع في مناطق آمنة بعيدة بمسافات كافية عن منطقة القتال والعمليات العسكرية حتى يكونوا بمأمن من الخطر كما نصت عليه المادة 19 من الاتفاقية.

ويراعى أيضاً التمييز المقاتلين العسكريين عن المدنيين من خلال (ارتداء زي معين، أو وضع علامة معينة) عند قيامهم بعمليات عسكرية في أثناء النزاعات المسلحة وإلا فقدوا صفتهم وحقهم كأسرى حرب حين أسرهم كما نصت عليه المادة 4/أ من الاتفاقية الثالثة كذلك المادة 44/الفقرة 3 من البروتوكول الإضافي الأول لسنة 1977.

و يتمتع الأسير بالعديد من الحقوق⁽³⁴⁾ منها:

- أن يكون تحت سلطة دولة العدو، لا تحت سلطة الأفراد أو الوحدة العسكرية التي أسرتهم، لذلك تعد الدولة الحائزة مسؤولية عن كيفية معاملته.
- يجب على الدولة الحائزة نقل الأسير إلى الخطوط الخلفية بأسرع وقت، ويجب أن تكون مناطق فرز الأسرى بعيدة عن ساحة العمليات العسكرية، وأن يزودوا في أثناء نقلهم بالطعام والماء والملابس والمستلزمات الطبية لضمان سلامة وصولهم.
- ينبغي على الدولة الحائزة أن تضع الأسرى في أماكن بعيدة عن ساحة العمليات القتالية مسافة مناسبة بحيث لا يتعرضون للخطر⁽³⁵⁾، وأن لا يكونوا

عرضة للقصف، ويجب أن تتوافر في أماكن حجز الأسرى وإقامتهم سبل الوقاية من الغازات السامة أو أخطار القنابل الهيدروجينية والذرية، وأن تهيأ وسائل الحماية من أخطار الحرب، وتلتزم الدولة الحائزة أن تجعل معسكرات الأسرى صالحة للسكن، وأن تتوافر فيها المتطلبات الصحية، بحيث تكون متماثلة لمعسكرات الدولة الحائزة الخاصة بقواتها المسلحة في المنطقة نفسها.

- يتمتع الأسير بالحصانة الشخصية، يجب معاملة أسرى الحرب معاملة إنسانية في جميع الأوقات⁽³⁶⁾ (المادة 13) من الاتفاقية الثالثة الخاصة بمعاملة أسرى الحرب لسنة 1949. فلا يجوز تعذيبه أو ضربه وأهانته أو توجيه الإكراه المادي والمعنوي إليه لما قام به في ساحة العمليات العسكرية.
- يحق لأسرى الحرب تقديم طلبات إلى السلطات العسكرية التي هم قيد أسرها بشأن أوضاع أسرهم كما نصت عليه المادة 78 من الاتفاقية الثالثة⁽³⁷⁾.
- لا يجوز محاكمة الأسير عن ذات الفعل مرتين (جريمة الهروب من الأسر مثلاً).
- يمكن تكليف الأسرى ببعض الأعمال (كالزراعة أو النقل أو الخدمات) مقابل أجر مادي يمنح له. كما نصت عليه المادة (49) من اتفاقية جنيف الثالثة على أنه يجوز للدولة الحائزة تشغيل أسرى الحرب اللائقين للعمل، مع مراعاة سنهم وجنسهم ورتبتهم، وكذلك قدرتهم البدنية، على أن يكون القصد بصورة خاصة المحافظة عليهم في صحة جيدة بدنياً ومعنوياً. ولا يجوز تكليف الأسير بالأعمال الخطيرة إلا إذا تطوع لذلك، كإزالة الألغام.

(36) عوض، حسين (2013) «الأسرى في القانون الدولي الإنساني» الحوار المتمدن العدد 4114، تاريخ الاسترداد 2013/6/5.

(37) فرانسواز بوشيه- سولنييه (2006) القاموس العملي للقانون الإنساني، ترجمة: محمد مسعود الناشر: دار العلم للملايين ومن الرابط: <https://ar.guide-humanitarian-law.org/content/index> تاريخ الاسترداد 2018/6/19. * للتوسع ينظر: اتفاقية جنيف الثالثة.

(33) المهداوي، أنمار (2015)، المرجع السابق.

(34) بوزيان، رحمة (2016) «أسرى الحرب في القانون الدولي الإنساني» رسالة ماستر في الحقوق، جامعة أبي بكر بلقايد، تلسمان الجزائر، ص 33-41.

(35) أبو هيف، علي صادق (1981) مصدر سابق، ص 716.

- له حق الاتصال بالعالم الخارجي من خلال (استلام الخطابات وارسالها، واستلام الطرود والبرقيات.. إلخ).

ومقابل هذه الحقوق فهناك واجبات على الأسير أن يراعيها كما جاء في اتفاقية جنيف الثالثة⁽³⁸⁾.

أما انتهاء حالة الأسر فهناك أسباب عديدة منها⁽³⁸⁾:

- الوفاة.

- إعادة الجرحى الذين لا يرجى شفاؤهم أو ذوي الإعاقات والمصابين بأمراض عقلية أو الذين بحاجة إلى فترات علاج طويلة فيمكن إعادتهم إلى أوطانهم في أثناء العمليات الحربية.

- انتهاء حالة الحرب أو النزاع بين الأطراف المتحاربة، وتتم عملية تبادل الأسرى بينهم، أي الافراج عن الأسرى بعد انتهاء العمليات العسكرية كما تم بين طرفي النزاع في الحرب العراقية الإيرانية (1980-1988).

وقد حددت المادة 8 من اتفاقية جنيف الثالثة حماية الأسرى بواسطة الدولة الحامية (وهي دولة يختارها كل طرف من أطراف النزاع تكلف برعاية مصالح أطراف النزاع)، فإذا لم يتم تعيين دولة حامية، فللدولة الحائزة أن تطلب من دولة محايدة أن تتكفل بالواجبات المفروضة بمقتضى الاتفاقية.

كما نصت المادة 9 المشتركة من اتفاقية جنيف الأولى والثانية والثالثة لسنة 1949، بأنه يمكن للدولة الحائزة أن تطلب من أو تقبل خدمات المنظمات الإنسانية كاللجنة الدولية للصليب الأحمر للقيام بواجبات الدولة الحامية، وفق نص المادة 81/

(38) نص اتفاقية جنيف الثالثة بشأن معاملة أسرى الحرب، مكتبة حقوق الإنسان، جامعة منيسوتا، تاريخ الاسترداد 2018/6/19. من الرابط: hrlibrary.umn.edu/arab/b092.html

الفقرة الأولى من الملحق رقم 1 لعام 1977⁽³⁹⁾.
والمادة 10 من اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949.

وتعد اللجنة الدولية للصليب الأحمر الجهة التي تحمي القانون الدولي الإنساني وتحافظ على حقوق الإنسان من أي انتهاكات سواء على مستوى الدول أو الأفراد أو المنظمات والجماعات⁽⁴⁰⁾.
ويتجلى دور اللجنة الدولية للصليب الأحمر في حماية حقوق الإنسان من خلال المهام الإنسانية كتقديم المؤن والمساعدات الطبية والغذائية للجرحى من طرفي النزاع المسلح⁽⁴¹⁾.

ويحق للجنة الدولية للصليب الأحمر زيارة أسرى الحرب، (نص المادة 126 من الاتفاقية الثالثة). وفيما يخص انتهاكات اتفاقيات جنيف فقد نصت المادة 129 من الاتفاقية الثالثة (على وجوب التزام الدول الأطراف في هذه الاتفاقيات أن تضمن تشريعاتها الوطنية نصوصاً تجرم الأفعال الواردة في هذه الاتفاقيات والتي تمثل انتهاكات جسيمة لقواعدها)⁽⁴²⁾.

(39) الملحق (البروتوكول) الأول الإضافي إلى اتفاقيات جنيف، 1977، من الرابط: <https://www.icrc.org/ar/doc/re-sources/documents/misc/5ntccf.htm> تاريخ الاسترداد 2019/1/12.

(40) الدينيني، نافع خليفة محمد (2010) «دور الأمم المتحدة في رعاية حقوق الإنسان» دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية - مصر العربية، ص 258.

(41) الدينيني، نافع خليفة محمد (2010)، المرجع السابق ص 259.

(42) العزري، جمعة بن مسلم (2012) «المسؤولية الجزائية عن انتهاكات القانون الدولي الإنساني»، منشورات أكاديمية السلطان قابوس لعلوم الشرطة، نزوى - سلطنة عمان، ص 8.

المبحث الثاني: تحديات القانون الدولي الإنساني لتكريس حماية الأسرى في ضوء النزاعات المسلحة الجديدة

المطلب الأول: أهم تحديات القانون الدولي الإنساني في ضوء النزاعات المسلحة الجديدة

ينطبق القانون الدولي الإنساني في النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية، فالنزاع المسلح الدولي هو الذي يكون بين دولتين أو أكثر سواء كان طرفاً في اتفاقيات جنيف أو غير منظمة فيه، والبروتوكول الأول لسنة 1977 هو الإطار القانوني لها، وقد ادخلت عليه أيضاً حروب التحرير ضد التسلط الاستعماري والاحتلال الأجنبي، وضد الأنظمة العنصرية.

ويعرف النزاع المسلح غير الدولي بأنه النزاع بين القوات المسلحة لدولة وبين قوات مسلحة منشقة أو جماعات نظامية أخرى لها قيادة مسؤولة⁽⁴³⁾. كما يحصل في سوريا منذ عام 2011 بما سمي ثورة الربيع العربي ضد الأنظمة الفاسدة.

يعرف الدكتور محمد المجذوب (2007) القانون الدولي الإنساني بأنه (ذلك الجزء أو الفرع المهم من القانون الدولي العام الذي يلهم الشعور الإنساني، ويهدف إلى حماية الإنسان في أوقات الحروب والنزاعات المسلحة)⁽⁴⁴⁾.

(43) الطالبي، سرور (2014) محاضرات في القانون الدولي الإنساني موقع رابط جيل البحث العلمي. <http://jilrc.com> تاريخ الاسترجاع 2018/9/21.

(44) المجذوب، محمد، مصدر سابق، ص762.

أما أهم مصادر القانون الدولي فتتمثل في المصادر الإلزامية وغير الإلزامية للقانون الدولي الإنساني، يمكن التمييز في هذا الشأن بين المصادر الاتفاقية والمصادر العرفية والفقه الدولي واجتهادات القضاء الدولي. حيث مر القانون الدولي الإنساني منذ أول اتفاقية أبرمت في جنيف عام 1864 وحتى البروتوكولين الإضافيين لعام 1977⁽⁴⁵⁾، بعدة مراحل ساعدت على بروزه كما الآن. فضلاً عن اتفاقيات جنيف ولاهاي والبروتوكولان الإضافيان لعام 1977. وهناك المصادر العرفية للقانون الدولي الإنساني. حيث يظل العرف موجوداً لأنه ليس في إمكان القانون المكتوب أن يتوقع كل الحالات، لهذا فهو يحال إلى القواعد العرفية.

حيث لا يزال المدنيون يتحملون وطأة العمليات العدائية في معظم النزاعات المسلحة، وخاصة في العراق وسوريا وليبيا واليمن وجنوب السودان والصومال. ولأول مرة منذ الحرب العالمية الثانية، فاق عددهم الإجمالي 50 مليون شخص، وشكّل الأشخاص النازحون داخلياً أكثر من نصف العدد، واستمر هذا الاتجاه السلبي في تزايد الأعداد مع تدهور حالات النزاع⁽⁴⁶⁾.

(45) القانون الدولي الإنساني وفتوى المحكمة الجنائية الدولية <https://www.icrc.org/ar/international-review/article/international-humanitarian-law-and-adv-sory-opinion-international-court> تاريخ الاسترجاع 2019/1/6.

(46) تقرير عن القانون الدولي الإنساني وتحديات النزاعات المسلحة المعاصرة (2015)، وثيقة رقم (IC/15/XXX 32) أعدتها اللجنة الدولية للصليب الأحمر جنيف، تشرين الأول/أكتوبر.

لم يكن القانون الدولي الإنساني وليداً حديثاً بل أن حضارات قديمة مثل: حضارة بابل أسست قواعد القانون الدولي الإنساني كما جاء في قانون حمورابي ملك بابل حين قال: (إنني أسن هذه القوانين كي أمنع القوي من الجور على الضعيف)⁽⁴⁷⁾.

وأهم دعائم القانون الدولي الإنساني⁽⁴⁸⁾ هي التمييز بين العسكريين وغيرهم، وبين الأهداف العسكرية وغيرها، فيشترط في الهدف العسكري الذي يكون محلاً للهجوم أن يسهم في العمليات العسكرية، إن احتجاز الأفراد لا يقتصر على زمن وظرف معين فهو كما يقع في زمن السلم، يقع في زمن النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية⁽⁴⁹⁾، وقد ألفت ما يسمى بالحرب على الإرهاب التي أطلقتها الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 ظلال قائمة على المحتجزين وحقوقهم وظروف احتجازهم.

إن المعتقلين المحتجزين هناك سواء في (غوانتانامو بكوبا) أو في (سجن أبو غريب ببغداد) من قبل القوات المسلحة الأمريكية والذين تم توقيفهم في أو بالقرب من مسارح العمليات القتالية في أفغانستان أو العراق تحميهم إما معاهدة جنيف الثالثة التي تحمي أسرى الحرب أو معاهدة جنيف

الرابعة التي تحمي المدنيين⁽⁵⁰⁾. أي أن كل معتقل تحتجزه حكومة الولايات المتحدة الأمريكية محمي بالمعاهدات الدولية بشأن الحقوق المدنية والسياسية والولايات المتحدة طرف متعاقد فيها.

إذ يلاحظ أن كل الجرائم التي نصت عليها اتفاقيات جنيف لسنة 1949، ارتكبت من قبل الولايات المتحدة الأمريكية خلال غزوها لأفغانستان واحتلال العراق دون استثناء، فالقوات الأمريكية خلال احتلالها للعراق عام 2003 ارتكبت أفظع مما هو منصوص عليه في اتفاقيات جنيف، والأدلة كثيرة جداً وفق ما أكدته التقارير الدولية لمنظمة العفو الدولية ولجنة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة وحتى التقارير الأمريكية ذاتها ووثائق ويكيليس، وهي جرائم يجرمها القانون الدولي⁽⁵¹⁾. كما أن مقاتلي طالبان باعتبارهم الجيش الرسمي لأفغانستان، محميون بموجب اتفاقية جنيف الثالثة، وبالتالي، فمقاتلو طالبان مقاتلون شرعيون، أي يفرض القانون الدولي معاملتهم كأسرى حرب محميين بالاتفاقية الثالثة، وعليه فمعاملتهم من قبل السلطات الأمريكية على أنهم مقاتلون غير شرعيين لا أساس قانوني له، بل بالعكس، فقد خالفت أمريكا أهم مبادئ القانون الدولي، وهذه إشارة واضحة للمخالفة: تنص المادة الخامسة من اتفاقية جنيف الثالثة في فقرتها الثانية على ما يلي: «في حالة الشك حول كون المعتقل لدى إحدى القوات المتحاربة ينتمي إلى مجموعة أسرى الحرب، أو أنه من المدنيين، فإن من واجب الدولة

(47) «القانون الدولي الإنساني... إجابات عن أسئلتك» (2011)، دليل اللجنة الدولية للصليب الأحمر ط15، أكتوبر/ تشرين الأول، ص 9.

(48) الجمل، أحمد عبد العظيم (2016) «حماية الأسرى بين القانون الدولي الإنساني والشريعة الإسلامية» دراسة منشورة على موقع الرابط www.eastlaws.com، تاريخ الاسترداد بتاريخ 2018/5/22. ص3.

(49) البياتي، بصائر علي (2010)، «الاحتجاز التعسفي. وحقوق الإنسان في الوثائق الدولية مع نظرة على الوضع في العراق»، مجلة دراسات قانونية، بيت الحكمة، بغداد - العراق، العدد 73، ص 26.

(50) فرانس أ. بويل (2006) «الولايات المتحدة الأمريكية كمحتل محارب: العراق وقوانين الحرب» مجلة المستقبل العربي، العدد 324 فبراير/شباط، ص13.

(51) أيوب، مها محمد (2010)، «اتفاقية جنيف لحماية السكان المدنيين لعام 1949...» مجلة دراسات قانونية، بيت الحكمة، العدد 26، ص 115.

المطلب الثاني: التحديات الجديدة التي تواجه القانون الدولي الإنساني

إن من أبرز هذه التحديات هو نزعة الدول إلى تسمية جميع الأعمال القتالية التي تشنها الجماعات المسلحة من غير الدول ضدها، لا سيما في النزاعات المسلحة غير الدولية «بالإرهابية» مما يؤدي بالجماعات المسلحة من غير الدول أن تتغاضى عن قواعد القانون الدولي الإنساني لتصورها أنه لا يوجد لديها دافع الالتزام بقوانين الحرب واعرافها⁽⁵⁶⁾.

أما فيما يخص التنظيمات والجماعات الإرهابية فيطرح تساؤل هل ينطبق القانون الدولي الإنساني على تلك النزاعات الجديدة التي تخوضها داخل الدول؟، ويتمثل ذلك في السعي إلى تشريد مجموعات سكانية بالقوة وإلى القضاء عليها، ومع تصاعد الدعاية والعنف والكرهية كما حصل في أعمال بوكو حرام في نيجيريا وداعش في العراق وسوريا وليبيا... إلخ.

إن العمليات التي تقوم بها جماعات مسلحة من غير الدول تعمل داخل مناطق مأهولة بالسكان ضد قوات حكومية تستخدم وسائل عسكرية أكثر تفوقاً، وقد استغلت بعض الجيوش التدخل بين الجماعات المسلحة والمدنيين، الذي يمثل انتهاكاً للقانون الدولي الإنساني⁽⁵⁷⁾، ومع ذلك يظل القانون الدولي الإنساني يطبق في هذه النزاعات الفوضوية،

الأسيرة، أن تقدمهم فوراً إلى محكمة مختصة⁽⁵²⁾. وعليه كان يجدر على السلطات الأمريكية تقديم هؤلاء المعتقلين فوراً للقضاء للفصل في وضعيتهم القانونية. لا احتجازهم تعسفاً أمام مرأى العالم أجمع؛ وبذلك تعد الولايات المتحدة الأمريكية الدولة الأولى في انتهاكات حقوق الإنسان وتدخلها في دول عديدة منذ نشأتها. تدخلها السافر في فيتنام مروراً في تدخلها في الصومال إلى غزوها أفغانستان واحتلال العراق، ومن مشاهد التعذيب والانتهاكات الجسيمة بحق المعتقلين في غوانتانامو وسجن أبو غريب⁽⁵³⁾. كل هذه الجرائم كان المفروض إحالتها إلى المحكمة الجنائية الدولية وهو السبب في عدم انضمام الولايات المتحدة الأمريكية لها، وكذلك مجلس حقوق الإنسان، وهي رسالة يريد الأمريكيون إيصالها بأنهم خارج كل من المحكمة الجنائية الدولية، ومجلس الأمن وهي رسالة سلبية للحكومات الأخرى المنخرطة في انتهاكات واسعة النطاق لحقوق الإنسان بأن تحذو حذوها⁽⁵⁴⁾. وعدم الانضمام هذا فسر كما جاء على لسان (جون بولتون مندوب إدارة الرئيس بوش الابن لدى الأمم المتحدة ومستشار الأمن القومي الحالي للرئيس ترمب.. إذ قال: «إنه اتفاق يضر بالمصالح القومية للولايات المتحدة - يضر بوجودنا في الخارج»⁽⁵⁵⁾، فأى استخفاف بالقانون الدولي عموماً والقانون الدولي الإنساني خصوصاً.

(52) مهديد، فضيل (2014)، «مسؤولية المقاتلين في القانون الدولي الجنائي» مجلة قانون وأعمال الإلكترونية بتاريخ 2014/12/24، رابط المجلة (<http://www.droitetentre-prise.com>).

(53) Anthony shaded. Night Draws Near: Iraq's People in the Shadow of America's War. New York: Henry Holt. 2005 p424.

(54) هانيمكي، يوسي ام (2013) «الأمم المتحدة. مقدمة قصيرة جداً» ترجمة محمد فتحي خضر، دار كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ط1، ص141.

(55) هانيمكي، يوسي ام (2013)، المرجع السابق ص 142.

(56) القانون الدولي الإنساني وتحديات النزاعات المعاصرة (2011) وثيقة عمل رسمية صادرة عن المؤتمر الدولي الحادي والثلاثون للصليب الأحمر والهلال الأحمر، جنيف، سويسرا، 28 نوفمبر - 1 كانون الأول/ ديسمبر.

(57) تقرير «القانون الدولي الإنساني وتحديات النزاعات المعاصرة» منشورات اللجنة الدولية للصليب الأحمر بتاريخ 5 شباط/ فبراير 2013 الرابط: <https://www.icrc.org/ar/document/contemporary-challenges-ihl>

استنتاجات الدراسة

- إن كل ما يدخل في نطاق القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة لم يتقيد بها لحد الآن أي دولة من الدول المتحاربة خلال النزاعات المسلحة.
- الالتزام الدولي بالقانون الدولي الإنساني سواءً أكانت الدولة منتمة لتلك المعاهدات والاتفاقيات الدولية الخاصة أم غير منتمة فالأساس هو تطبيق العدالة الدولية.
- لا توجد سلطة دولية محايدة لا تتأثر باتجاهات الدول العظمى المهيمنة على مجلس الأمن وتفرض العقوبات على الأطراف المخالفة تتلاءم وحجم الجرائم.
- التسابق الدولي نحو تطوير الأسلحة الفتاكة واسلحة الدمار الشامل التي لا تفرق بين العسكريين المقاتلين وبين المدنيين الأبرياء.
- الازدواجية في تطبيق القانون بحق دول معينة ولا يطبق على دول أخرى تنتهك القانون الدولي الإنساني.

ونزاعات الهوية التي يتعرض في أثناءها السكان المدنيون بصفة خاصة لأعمال العنف، فالمادة الثالثة المشتركة تفرض على جميع الجماعات المسلحة سواءً أكانت متمردة أم غير ذلك، أن تحترم الأشخاص الذين القوا السلاح والأشخاص، كالمدنيين الذين لا يشاركون في القتال⁽⁵⁸⁾.

لقد خلفت «الحرب ضد الإرهاب» آلاف الضحايا الأبرياء الذين لا علاقة لهم بالسياسة، حيث من لم يكن مصيره الموت أصبح محتجزاً «أسيراً» بدون تهمة أو جريمة أو محاكمة عادلة تثبت إدانته؛ إذ يكفي ذكر إنهم محتجزون في إطار الحرب ضد الإرهاب حتى يتراجع من عز الدفاع عنهم⁽⁵⁹⁾.

الخاتمة

يواجه القانون الدولي الإنساني تحديات مستمرة جراء تطور وتوسع واختلاف النزاعات المسلحة، وتبقى مهمته الرئيسة حماية ضحايا تلك النزاعات، ويعزز دور اللجنة الدولية للصليب الأحمر في حماية ضحايا النزاعات وخاصة المدنيين ومنهم بالتحديد الأسرى والمعتقلين لدى أطراف النزاع.

وتصنف اتفاقية جنيف الثالثة لسنة 1949 باعتبارها الإطار القانوني الخاص بمعاملة أسرى الحرب في أثناء النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية، كذلك في أثناء النزاعات بين الفاعلين من غير الدول، فقد ضمنت هذه الاتفاقية حقوق وواجبات الأسرى لدى الدولة الحائزة ومعاملتهم بطريقة إنسانية في جميع الأحوال.

(58) اللجنة الدولية للصليب الأحمر، دليل البرلمانيين حول القانون الدولي الإنساني، ص18.

(59) الخلوقي، محمد (2013)، (القانون الدولي الإنساني، وحق الأسير في «الحرب ضد الإرهاب»)، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 38، ص120.

المصادر والمراجع

- أبو هيف، علي صادق (1981) «القانون الدولي العام -...» منشأة المعارف - الإسكندرية.
- أيوب، مها محمد (2010)، «اتفاقية جنيف لحماية السكان المدنيين لعام 1949...» مجلة دراسات قانونية، بيت الحكمة، العدد 26.
- المهداوي، أنمار (2015) «مفهوم القانون الدولي الإنساني» موقع مركز الدراسات والأبحاث العلمانية في العالم العربي. www.ssrcaw.org
- «موقع الحوار المتمدن»، <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=498213>. - العدد: 5025 - 26 ديسمبر. تاريخ الاسترداد 25/12/2018.
- بكتيه، جان (1984)، «القانون الدولي الإنساني، تطوره ومبادئه»، جنيف، 12-366.
- بلعش، فاطمة (2008) «حماية أسرى الحرب في القانون الدولي الإنساني» رسالة ماستر في العلوم القانونية والإدارية - جامعة حسيبة بن بوعلي الجزائر.
- بن عمران، إنصاف (2009)، «دور اللجنة الدولية للصليب الأحمر في تنفيذ قواعد القانون الدولي»، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الحاج خضر، باتنة، الجزائر.
- بوزبان، رحيمة (2016) «أسرى الحرب في القانون الدولي الإنساني» رسالة ماستر في الحقوق - جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان الجزائر.
- البياتي، بصائر على (2010)، «الاحتجاز التعسفي. وحقوق الإنسان في الوثائق الدولية مع نظرة على الوضع في العراق»، مجلة دراسات قانونية، بيت الحكمة، بغداد - العراق، العدد 26.
- تقرير عن القانون الدولي الإنساني وتحديات النزاعات المسلحة المعاصرة وثيقة رقم (32IC/15/xxx) أعدتها اللجنة الدولية للصليب الأحمر جنيف، تشرين الأول/أكتوبر 2015.
- تقرير «القانون الدولي الإنساني وتحديات النزاعات المعاصرة» اللجنة الدولية للصليب الأحمر بتاريخ 5 شباط/فبراير 2013 الرابط: <https://www.icrc.org/ar/document/contemporary-challenges-ihl>
- الجمل، أحمد عبد العظيم (2016) «حماية الأسرى بين القانون الدولي الإنساني والشريعة الإسلامية» دراسة منشورة على موقع www.eastlaws.com، تاريخ الاسترداد بتاريخ 22/5/2018.
- حجازي، عبد الفتاح بيومي (2005) «المحكمة الجنائية الدولية»، دار الفكر العربي، الإسكندرية - مصر
- الخلوقي، محمد (2013)، «القانون الدولي الإنساني، وحق الأسير في «الحرب ضد الإرهاب»»، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 38.
- الدينني، نافع خليفة محمد (2010) «دور الأمم المتحدة في رعاية حقوق الإنسان» دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية - مصر العربية.
- سوادي، عبد علي محمد (2017)، «حماية المدنيين أثناء النزاعات المسلحة، المركز العربي للنشر والتوزيع القاهرة ط1.
- الطالبي، سرور (2014) محاضرات في القانون الدولي الإنساني موقع رابط جيل البحث العلمي.
- عبد العزيز، مصلح حسن (2012)، «حقوق الأسير والتزاماته في القانون الدولي» ط1، دار البداية، عمان - الأردن.
- العزري، جمعة بن مسلم (2012) «المسؤولية الجزائية عن انتهاكات القانون الدولي الإنساني»، منشورات أكاديمية السلطان قابوس لعلوم الشرطة، نزوى - سلطنة عمان.
- علي، جعفر عبد السلام (2013) «أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية» المؤتمر الدولي الأول للسيرة النبوية الشريفة جامعة إفريقيا العالمية الخرطوم - السودان، 11-12 يناير المنشور على الرابط:
- <http://www.islamicrabta.com/index.php?pageshow=showarticle&id=32> تاريخ الاسترجاع 18 يناير 2019.
- العنبيكي، نزار (2010)، القانون الدولي الإنساني، دار وائل للنشر، ط1، عمان، الأردن.
- العنزي، رشيد حمد (2004) (معتقلو غوانتانامو بين القانون الدولي الإنساني ومنطق القوة) المنشور في مجلة الحقوق - جامعة الكويت، العدد الرابع.
- عوض، حسين (2013) «الأسرى في القانون الدولي الإنساني» الحوار المتمدن العدد 4114، تاريخ الاسترداد 5/6/2013.
- غنيم، عبد الرحمن علي إبراهيم (2018)، «الحماية القانونية للأسرى وفقاً للأحكام القانون الدولي الإنساني - دراسة تطبيقية على وضع الأسرى الفلسطينيين» منشورات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية ط1. برلين ألمانيا.
- فرانس أ. بويل (2006) «الولايات المتحدة الأمريكية كمحتل محارب: العراق وقوانين الحرب» مجلة المستقبل العربي، العدد 324، فبراير/شباط.

- فرانسواز بوشيه- سولنييه (2006) القاموس العملي للقانون الإنساني، ترجمة: محمد مسعود الناشر: دار العلم للملايين ومن الرابط: <https://ar.guide-humanitarian-law.org/content/index> /تاريخ الاسترداد 19/6/2018.
- فليب شيبوري (2009) مدير القانون الدولي- اللجنة الدولية للصليب الأحمر (اتفاقيات جنيف لعام 1949: أصولها وأهميتها الراهنة).
- فهمي، مصطفى خالد (2011)، «القانون الدولي الإنساني- الأسس والمفاهيم وحماية الضحايا»، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ط1.
- القانون الدولي الإنساني وتحديات النزاعات المعاصرة (2011) وثيقة عمل رسمية صادرة عن المؤتمر الدولي الحادي والثلاثون للصليب الأحمر والهلال الأحمر، جنيف، سويسرا، 28 نوفمبر - 1 كانون الأول/ ديسمبر.
- اللجنة الدولية للصليب الأحمر (2016) «القواعد الأساسية لاتفاقيات جنيف وبروتوكولها الإضافيين»، ط 6.
- اللجنة الدولية للصليب الأحمر (2011)، «القانون الدولي الإنساني - إجابات عن أسئلتك» منشورات اللجنة الدولية للصليب الأحمر الطبعة الخامسة أكتوبر/ تشرين الأول.
- اللجنة الدولية للصليب الأحمر (1991)، «احترام القانون الدولي الإنساني وكفالة احترامه»، دليل عمل الاتحاد البرلماني الدولي رقم 1.
- اللجنة الدولية للصليب الأحمر (2011)، «دليل البرلمانيين حول القانون الدولي الإنساني». منشورات اللجنة الدولية للصليب الأحمر.
- اللجنة الدولية للصليب الأحمر موقع من الرابط: <https://www.icrc.org/ar/who-we-are>.
- اللجنة الدولية للصليب الأحمر القانون الدولي الإنساني وفتوى المحكمة الجنائية الدولية: <https://www.icrc.org/ar/international-review/article/international-humanitarian-law-and-advisory-opinion-international-court> تاريخ الاسترجاع 6/1/2019.
- المجذوب، محمد (2007)، «القانون الدولي العام» منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان الطبعة 6.
- مصادر القانون الدولي الإنساني، الموسوعة السياسية، الرابط <https://political-encyclopedia.org/dictionaryD9%>، تاريخ الاسترداد 16/1/2019.
- الملحق (البروتوكول) الأول الإضافي إلى اتفاقيات جنيف، 1977، من الرابط <https://www.icrc.org/ar/doc/resources/docu-ments/misc/5ntccf.htm> تاريخ الاسترداد 12/1/2019.
- مهديد، فضيل (2014)، «مسؤولية المقاتلين في القانون الدولي الجنائي» مجلة قانون وأعمال الإلكترونية بتاريخ 24/12/2014. رابط المجلة (<http://www.droitetentreprise.com>).
- نص اتفاقية جنيف الثالثة بشأن معاملة أسرى الحرب، مكتبة حقوق الإنسان، جامعة منيسوتا، تاريخ الاسترداد 19/6/2018. من الرابط: hrlibrary.umn.edu/arab/b092.html.
- نص المادة 4 من اتفاقية جنيف الثالثة لسنة 1949 بشأن معاملة أسرى الحرب.
- هانيمكي، يوسي ام (2013) «الأمم المتحدة. مقدمة قصيرة جداً» ترجمة: محمد فتحي خضر، دار كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ط1.
- الهييتي، نعمان عطا الله (2008)، «قانون الحرب أو القانون الدولي الإنساني/ الجزء الثاني» دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.
- Anthony shaded. Night Draws Near: Iraq s People in the Shadow of America s War. New York: Henry Holt.2005 p424.
- <https://www.icrc.org/ara/war-and-law/treaties-customary-law/geneva-conventions/overview-geneva-conventions.htm>
- <https://www.icrc.org/ara/resources/documents/statement/geneva-conventions-statement-120809.htm>

أثر تطبيق الاستراتيجيات التنافسية على الأداء المالي في المصارف الإسلامية

(دراسة تطبيقية على عينة من المصرف الإسلامية في مملكة البحرين)

د.عمار عصام عبد الرحمن - البحرين

دكتوراه تدقيق ورقابة مالية، جامعة العلوم التطبيقية

د.نادية عبد الجبار الشريدة - البحرين

دكتوراه محاسبة ومصارف إسلامية، جامعة العلوم التطبيقية



ملخص البحث

يهدف البحث إلى بيان أهمية الاستراتيجيات التنافسية وتحديد متطلبات تطبيق تلك الاستراتيجيات في المصارف الإسلامية وأيضاً قياس أثر تطبيق الاستراتيجيات التنافسية على الأداء المالي في المصارف الإسلامية وذلك باستخدام بعض المؤشرات والنسب لقياس الأداء في تلك المصارف، إذ أن مشكلة البحث تكمن في ضعف إدراك أثر تنوع الاستراتيجيات التنافسية على الأداء المالي للمصارف الإسلامية، وقد توصل البحث إلى عدة نتائج منها وجود أثر لتطبيق الاستراتيجيات التنافسية المتنوعة على الأداء المالي للمصارف الإسلامية وباستخدام مؤشرات ونسب متنوعة.

الكلمات المفتاحية: المصارف الإسلامية - الاستراتيجيات التنافسية - الأداء المالي - متطلبات تطبيق الاستراتيجيات

The Impact of Implementation of the Competitive Strategies on the Financial Performance for Islamic banks

**(Practical Study on Sample of the Islamic
Banks in the Kingdom of Bahrain)**

Abstract

The aims of this research are discuss for the importance of competitive strategies; determine the requirements of implementation of that strategies in Islamic Banks, also measurement the Impact of Implementation of the competitive strategies on the Financial Performance of Islamic banks by using some percentages and performance indicators, and the main problem in the current research is the weakness of perception or consciousness of the Impact of different competitive strategies on the financial performance, and one of the important results is there was an Impact of the Competitive Strategies on the Financial Performance of Islamic banks in the sample in current research.

Key Words: Islamic banks - Competitive Strategies
- The Financial performance - The requierments for
strategies Implementation.

مشكلة البحث

إن عملية تحليل القوى المنافسة في الصناعة المصرفية ذات أهمية كبيرة لأي مصرف إسلامي، وذلك ليتمكن من وضع الخطط والطرق والأساليب التي سيتبناها ويحدد الاستراتيجيات التي سينتهجها لمواجهة قوى التنافس، والتي يمكن أن تكون مصارف إسلامية موجودة حالياً تطرح نفس الخدمات والمنتجات ولكن بطرق مبتكرة أو تطرح خدمات ومنتجات بديلة بمواصفات وأسعار تنافسية، أو يمكن أن تكون ضمن قوى المنافسة مصارف إسلامية محلية أو أجنبية أو فروع لها محتمل دخولهم الأسواق، وتكمن مشكلة البحث ضعف إدراك واستيعاب أثر تنوع تطبيق استراتيجيات التنافس في المصارف الإسلامية على الأداء المالي وضرورة اختيار الاستراتيجية التنافسية التي تلائمها في ظل الظروف الحالية المليئة بالتحديات، مع إمكانية تغيير الاستراتيجية أو اختيار أكثر من واحدة بما يتلاءم وإمكاناتها، مع دراسة وتحليل التغيرات في البيئة المحيطة بها، وبهذا تضمن حصولها على وضع تنافسي قوي ومستدام مبني على أساس علمي مدروس.

أهداف البحث

- يمكن تلخيص أهم أهداف البحث في النقاط الآتية:
- أ. بيان أهمية استراتيجيات التنافس وأنواعها.
 - ب. اقتراح مخطط هيكلي لاستراتيجيات التنافسية في المصارف الإسلامية.
 - ج. تحديد متطلبات تطبيق الاستراتيجيات التنافسية المختلفة في المصارف الإسلامية.
 - د. تسليط الضوء على مؤشرات الأداء المالي في المصارف الإسلامية.
 - هـ. قياس أثر تطبيق الاستراتيجيات التنافسية على الأداء المالي للمصارف الإسلامية العاملة في مملكة البحرين.

ينظر للميزة التنافسية في المصارف على أنها قدرة المصرف على تحقيق حاجات العميل، في الوقت والمكان المناسب وبالسعر المناسب، أو القيمة التي يرغب بالحصول عليها من الخدمة (ذات جودة عالية)⁽¹⁾، كما وتتلور أهمية الميزة التنافسية في المصارف ومن خلال تحقيق التواجد في عصر العولمة والاعتماد على الابتكار والإبداع في أداء الأنشطة المصرفية والخدمات وامتلاك القدرات والمهارات وزيادة الكفاءة والفعالية في أداء الأنشطة المصرفية وإيجاد آلية مستمرة من الابتكار في الأنشطة والخدمات، ومن خلال ارتفاع الأرباح التي يمكن أن تحققها البنوك من وراء إبداء الاهتمام بمكونات الميزة التنافسية، وكذلك من خلال إمكانية تحقيق التمرکز في الأسواق الدولية وبناء مراكز تسويق والاستحواذ على حصة سوقية مناسبة بهذه الأسواق مع إمكانية التوسع في الأسواق الخارجية والتحكم في أداء الخدمات والأنشطة المصرفية بها وتحقيق مكانه رائدة ومتفوقة بين المصارف في هذه الأسواق.⁽²⁾

لذا فإن أهمية الميزة التنافسية للمصارف الإسلامية تتجسد في قدرتها وقابليتها على اختيار وتطبيق الاستراتيجية التنافسية المناسبة والملائمة للبيئة المحيطة بها وبالتالي الحصول على ثقة الاطراف التي تتعامل معها تلك المصارف والمستفيدين من خدماتها ومنتجاتها، سواء كانوا أفراداً أم مؤسسات خاصة أو حكومية محلية أو دولية، وبالحصول على ثقتهم سترتفع حصة المصرف السوقية ويتفوق على منافسيه، وبالتالي يحقق أهدافه الاقتصادية والاجتماعية ويعود النفع على جميع الأطراف.

فرضيات البحث

من خلال ما تم استعراضه في مشكلة البحث وأهدافه يمكن وضع الفرضيات الآتية:

(1) «لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($a \leq 0.05$) للاستراتيجيات التنافسية المطبقة (مقاسة بعدد الصيغ التمويلية والاستثمارية) على تقييم الاداء المالي (مقاساً بمعدل توظيف الودائع) للمصارف الإسلامية العاملة في مملكة البحرين».

(2) «لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($a \leq 0.05$) للاستراتيجيات التنافسية المطبقة (مقاسة بعدد الصيغ التمويلية والاستثمارية) على تقييم الاداء المالي (مقاساً بالعائد على الموجودات) للمصارف الإسلامية العاملة في مملكة البحرين».

(3) «لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($a \leq 0.05$) للاستراتيجيات التنافسية المطبقة (مقاسة بعدد الصيغ التمويلية والاستثمارية) على تقييم الاداء المالي (مقاساً بالإيرادات) للمصارف الإسلامية العاملة في مملكة البحرين».

أهمية البحث

تأتي أهمية البحث من أهمية الحصول على ميزة تنافسية والتي أصبحت ضرورة وليس ترفاً، ذلك لأنها تؤدي إلى رفع أداء المؤسسات حاضراً ومستقبلاً وذلك إذا تم تطبيقها بشكل جيد، وهذا ما تجمع عليه جميع المؤسسات العالمية، فقد لا تبدو الميزة غاية بحد ذاتها، وإنما وسيلة تهدف للوصول للكثير من الغايات على رأسها نجاح وربحية المؤسسة، وتأتي أهمية البحث الحالي من أهمية

موضوع تنوع الاستراتيجيات التنافسية المطبقة وذلك للوصول إلى مراكز تنافسية متقدمة وذلك بعد أن احتلت الصناعة المصرفية الإسلامية مكانة مرموقة على المستوى المحلي والعالمي، مما جعل القائمين على تلك الصناعة يبحثون في كيفية الحفاظ على مكانة المصارف الإسلامية والسعي إلى الابتكار والتجديد والتنوع وتطبيق استراتيجيات ملائمة للبيئة المحيطة والتي تدعم الأداء المالي للمصارف الإسلامية والمضي قدماً بهذه الصناعة الواعدة.

حدود البحث

الحدود الزمانية: الفترة بين (2010-2016).

الحدود المكانية: يطبق البحث عينة من المصارف الإسلامية العاملة في مملكة البحرين.

الحدود الموضوعية: يتناول البحث أثر تطبيق الاستراتيجيات التنافسية (مقاسة بعدد الصيغ التمويلية والاستثمارية) على الأداء المالي (مقاساً بالعائد على الموجودات، معدل توظيف الودائع، الإيرادات) للمصارف الإسلامية العاملة في مملكة البحرين.

منهجية البحث

منهج البحث: تم إجراء التحليل وفقاً لمنهج البحث الوصفي التحليلي، ويكون جمع المعلومات فيه بأسلوبين:

الأسلوب النظري: ويتم فيه جمع معلومات عن مفهوم الاستراتيجيات التنافسية وأنواعها وتطبيقاتها من الدوريات والكتب والمراجع والأبحاث السابقة والندوات والمؤتمرات العلمية العربية والأجنبية، والشبكة المعلوماتية والتي ناقشت حيثيات موضوع البحث.

الأسلوب العملي: ويكون من خلال الدراسة التطبيقية والتي تم بها مايلي:

1- اعداد استمارة استقصاء لتحديد مستوى تطبيق الاستراتيجيات التنافسية (مقاسة بعدد الصيغ التمويلية والاستثمارية المطبقة) من واقع التقارير السنوية للمصارف الإسلامية عينة البحث للفترة الزمنية (2010-2016)

2- احتساب الأداء المالي (مقاساً بالعائد على الموجودات، معدل توظيف الودائع، الإيرادات) للمصارف الإسلامية العاملة في مملكة البحرين للفترة الزمنية (2010-2016)

3- قياس أثر تطبيق الاستراتيجيات التنافسية (مقاسة بعدد الصيغ التمويلية والاستثمارية) على تقييم الأداء المالي (مقاساً بالعائد على الموجودات، معدل توظيف الودائع، الإيرادات) للمصارف الإسلامية عينة البحث باستخدام برنامج SPSS الإحصائي واستخدام بعض المقاييس الإحصائية مثل مقياس T-Test لإختبار فرضيات البحث (مدى قبولها أو رفضها بالاعتماد على درجة ثقة 5 %) والتكرارات النسبية Percentage Frequencies.

4- إن النموذج العام للبحث هو:

$$y_{it} = f(x_{it} + e_{it}) \text{---1}$$

حيث أن:

y_{it} : يمثل الأداء المالي للمصرف الإسلامي i في الفترة t والذي يتم قياسه من خلال: (معدل توظيف الودائع INFD، معدل العائد على الموجودات ROA والإيرادات R).

x_{it} : تمثل الاستراتيجيات التنافسية المطبقة في المصرف الإسلامي i للفترة t . والتي يتم قياسها من خلال عدد الصيغ التمويلية والاستثمارية المطبقة CS

e_{it} : يمثل الخطأ العشوائي

من خلال النموذج العام السابق للبحث يمكن صياغة ثلاثة نماذج تفصيلية للبحث حسب المتغير التابع الذي سيتم استخدامه وذلك كما يلي:

$$INFD_{it} = a + \beta CS_{it} + e_{it} \text{---2}$$

$$ROA_{it} = a + \beta CS_{it} + e_{it} \text{---3}$$

$$R_{it} = a + \beta CS_{it} + e_{it} \text{---4}$$

مصادر البيانات

1) المصادر الأولية: تم جمع البيانات المتعلقة بمتغيرات الدراسة عن طريق الرجوع إلى التقارير السنوية الصادرة عن المصارف الإسلامية العاملة في مملكة البحرين وذلك للفترة (2010-2016).

2) المصادر الثانوية: الرسائل الجامعية، الأبحاث المقدمة في المؤتمرات والندوات، والدراسات وأوراق العمل المنشورة في الدوريات العلمية والمهنية المحكمة، والمجلات المتخصصة بالمصارف الإسلامية والاقتصاد الإسلامي، إضافة إلى الكتب، النشرات، الدوريات والإحصائيات التي لها علاقة بموضوع البحث.

تقسيم البحث

الفصل الأول: الإطار العام للاستراتيجيات

التنافسية والأداء المالي للمصارف الإسلامية

المبحث الأول: ماهية الاستراتيجيات التنافسية بين المصارف التقليدية والإسلامية.

المبحث الثاني: أنواع الاستراتيجيات التنافسية.

المبحث الثالث: مؤشرات الأداء المالي في المصارف الإسلامية.

الفصل الثاني: متطلبات تطبيق الاستراتيجيات

التنافسية في المصارف الإسلامية

المبحث الأول: متطلبات تطبيق الاستراتيجيات التنافسية العامة لبورتر (Porter) في المصارف الإسلامية.

المبحث الثاني: متطلبات تطبيق الاستراتيجيات المعاصرة في المصارف الإسلامية.

المبحث الثالث: متطلبات تطبيق الاستراتيجيات التنافسية العامة لـ (Miles & Snow) في المصارف الإسلامية.

المبحث الرابع: متطلبات تطبيق الاستراتيجيات التنافسية حسب مكانة المؤسسة بالصناعة في المصارف الإسلامية.

الفصل الثالث: الإطار العملي والاستنتاجات

والتوصيات

المبحث الأول: متغيرات البحث والأساليب الإحصائية المستخدمة

المبحث الثاني: الإحصاء الوصفي واختبار الفرضيات ومناقشتها

المبحث الثالث: الاستنتاجات والتوصيات

الفصل الأول: الإطار العام للاستراتيجيات التنافسية والأداء المالي للمصارف الإسلامية

المبحث الأول: ماهية الاستراتيجيات التنافسية بين المصارف التقليدية والإسلامية

ج. أساس التنافس وما تملكه المنظمة من الأصول وتعتبر الأساس في الأداء وتحقيق التنافسية للمؤسسة.⁽⁵⁾

مفهوم استراتيجية التنافس في المصارف التقليدية

يعرف التفكير الاستراتيجي بأنه نشاط إبداعي ومسار فكري تخطيطي شمولي متعدد الرؤى والأبعاد ينطلق من دراسة الواقع بكل أبعاده ومظاهره ويرسم رؤى وأهداف مستقبلية ويضع برامج وخطط عملية تساعد على الانتقال إلى المستقبل المنشود.⁽⁶⁾

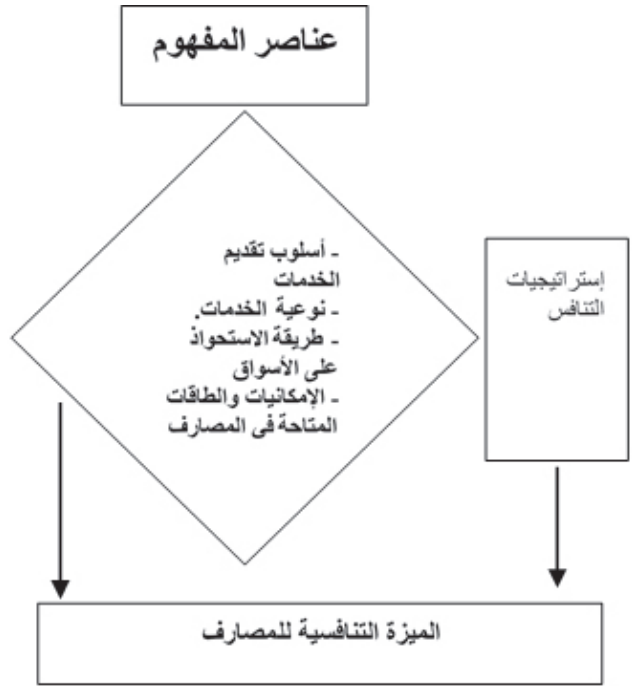
إن مفهوم استراتيجية التنافس في المصرف يتضمن تحديد الطاقات المادية والبشرية والموارد المتاحة لديها والمستخدمه في أداء الخدمات المصرفية بشكل متميز وكذلك الجوانب التي سيتم التركيز عليها هل تتعلق بالسعر أم التوزيع أو الخدمات وطبيعتها، ومن خلال الشكل التالي يمكن توضيح مفهوم استراتيجيات التنافس وعلاقتها بمفهوم الميزة التنافسية في المصارف:

تواجه المؤسسات خطر زيادة حدة المنافسة المحلية والعالمية، مما يدفعها إلى البحث عن وسائل للوصول لهدفها في تحقيق ميزة تنافسية قوية تمكنها من التفوق والتميز عن منافسيها وزيادة حصتها السوقية، وتعد استراتيجية التنافس إحدى تلك الوسائل. وتعرف استراتيجية التنافس على أنها مجموعة متكاملة من التصرفات تؤدي إلى تحقيق ميزة متواصلة ومستمرة عن المنافسين⁽³⁾ كما عرفت استراتيجية التنافس إلى أنها مجموعة متكاملة من الخطط والتصرفات التي تؤدي إلى تحقيق الميزة والميزة التنافسية المتواصلة والمثمرة والتي تحقق التفوق على المنافسين.⁽⁴⁾ ومن المفاهيم السابقة الذكر يتضح ان استراتيجية التنافس كمفهوم تتحدد من خلال ثلاثة مكونات رئيسية، وهي:

أ. مجال ونطاق التنافس حيث يتعلق هذا المكون والعنصر المرتبط بمفهوم استراتيجية التنافس بميدان التنافس والأسواق والمنافسين والشرائح المستهدفة،

ب. طريقة وأسلوب التنافس ويتضمن استراتيجيات المنتج، التوزيع، التسعير والترويج،

الشكل (1) مفهوم استراتيجيات التنافس وعلاقتها بمفهوم الميزة التنافسية في المصارف⁽⁷⁾



استراتيجيات التنافس في المصارف الإسلامية

تشير استراتيجيات التنافس إلى كونها الوسيلة التي يتم من خلالها البحث عن تحقيق أفضل مركز تنافسي في المجال والصناعة التي تعمل فيها المنظمات، وذلك بهدف تحقيق ميزة تنافسية مستمرة ولمواجهة القوى التنافسية في المجال الذي تعمل فيه، وتعتبر استراتيجية المنافسة عن الطريقة التي تمكن المنظمة من تحسين المركز التنافسي لمنتجات وخدمات المؤسسة داخل القطاع الذي تنتمي إليه⁽⁸⁾.

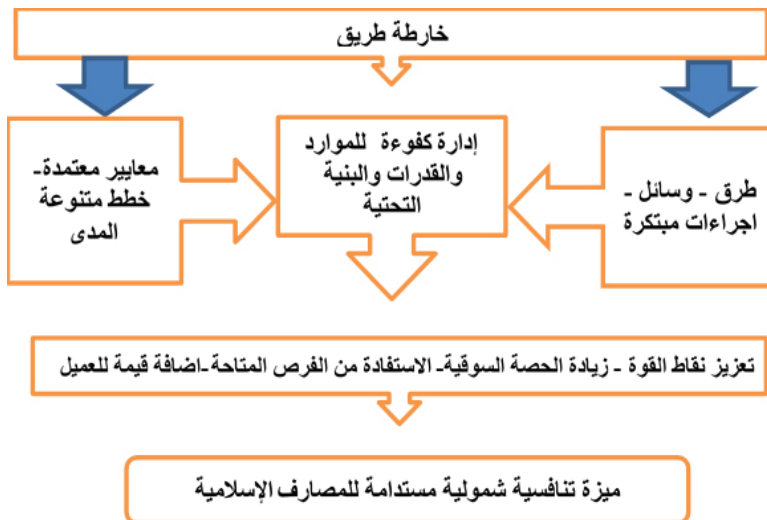
كما أن هناك أهمية لاستشراف المستقبل في تغيير وتحسين وتطوير العمل الإداري من خلال التخطيط الناجح، باعتبار أن نجاح أي مؤسسة يبرز في قدراتها على استشراف المستقبل ووضع الخطط المناسبة لمواجهة ذلك المستقبل وفهم آفاهه وتحدياته ولا يمكن أن يستمر النجاح لأي مؤسسة

مالم تمتلك رؤى واضحة لمستقبل العمل الإداري وتحديثه، كما أن الاستشراف يوفر للمسؤولين والقائمين على المؤسسة القاعدة المعرفية اللازمة لصياغة الاستراتيجيات ورسم الخطط⁽⁹⁾.

وفي المصارف الإسلامية واعتماداً على المفاهيم السابقة، يمكن النظر إلى استراتيجيات التنافس على انها عبارة عن خارطة طريق تطبق فيها معايير معتمدة وخطط متنوعة المدى وطرق ووسائل وإجراءات مبتكرة، تضمن إدارة كمؤة للموارد والقدرات والبنية التحتية التي تملكها تلك المصارف، ويتم توجيهها لتعزيز نقاط القوة وزيادة الحصة السوقية للمصارف بالاستفادة من الفرص المتاحة وإضافة قيمة للعميل، للوصول والحفاظ على ميزة تنافسية شمولية مستدامة.

واستناداً على ما سبق يمكن اقتراح مخطط هيكلي لمكونات استراتيجيات التنافس في المصارف الإسلامية من خلال الشكل التالي:

الشكل (2) استراتيجيات التنافس في المصارف الإسلامية⁽¹⁰⁾



المبحث الثاني: أنواع الاستراتيجيات التنافسية

يمكن النظر إلى الاستراتيجيات التنافسية من خلال عدد من محاور، وكما يلي:

الاستراتيجيات العامة⁽¹¹⁾ لبورتر (Porter)

اقترح بورتر ثلاثة استراتيجيات عامة للتنافس بغرض تحقيق أداء أفضل عن بقية المنافسين وتشمل:

أ) استراتيجية قيادة التكلفة: هي استراتيجية تنافسية تعتمد على التكلفة المنخفضة وموجهة إلى أسواق مستهدفة كبيرة، وتتطلب أساليب محكمة تتعلق بالتسهيلات البيعية ذات الكفاءة العالية وملاحقة مستمرة للتكلفة بغرض خفضها، ورقابة صارمة عليها وعلى هامش الربح⁽¹²⁾، وتتخذ المنظمة القائدة في التكاليف السعر كميزة تنافسية ضد المتنافسين، والدوافع وراء هذه الاستراتيجية تتمثل في تحقيق اقتصاديات الحجم، توفير فرص مشجعة لتخفيض الكلفة وتحسين الكفاءة⁽¹³⁾.

ب) استراتيجية التميز: هي استراتيجية تنافسية موجهة للسوق كبير الحجم وتنطوي على الابتكار والتطوير في المنتج أو الخدمة على النحو الذي يتم إدراكه على أنه شيء فريد أو مميز، وتستطيع المنظمة أن تخلق لنفسها مركزاً تنافسياً مميزاً من خلال خلق درجة عالية من التمايز لمنتجاتها عن تلك التي يقدمها المنافسون، ومن هذا التمايز يمكن للمنظمة فرض السعر التي تبغيه، وزيادة عدد الوحدات المباعة، وتنمية نوع ولاء المستهلكين لعلامته التجارية⁽¹⁴⁾.

وترتفع درجات نجاح هذه الاستراتيجية بزيادة تمتع المؤسسات بالمهارات والكفاءات التي يصعب على المنافسين محاكاتها⁽¹⁵⁾.

يمكن الابتكار المؤسسات من التركيز على شريحة معينة من العملاء من خلال الاعتماد على

الابتكار المستمر في المنتجات المقدمة لهم، إما من خلال تركيزها على التكاليف أو من خلال التميز ولكي تحصل على ميزة تنافسية في السوق المستهدفة يجب عليها أن تستعمل كافة الأساليب الفنية الجديدة في عملية الإنتاج ونفس الشيء بالنسبة للمؤسسات التي تقوم بالتركيز على استراتيجية التميز⁽¹⁶⁾.

ج) استراتيجية التركيز أو التخصص: تهدف هذه الاستراتيجية إلى بناء ميزة تنافسية للمنظمة وتحقيق موقع أفضل في السوق، وتحقيق الميزة التنافسية عبر تعاملها مع مجموعة معينة من المشتريين وفي جزء من قطاع معين في السوق بطريقة أكثر كفاءة من منافسيها الذين يتعاملون مع قطاعات أكبر في السوق ونتيجة لذلك تتمكن المنظمة من تحقيق التميز بتقديمها منتج أو خدمة لقطاع من السوق بطريقة أكفأ⁽¹⁷⁾ ونظراً للمنافسة الشديدة التي تواجهها اليوم المصارف الإسلامية، فإن بإمكانها اتباع جميع الاستراتيجيات السابقة الذكر، وتوجيه وتسخير جميع إمكانياتها وقدراتها وجهودها وبنيتها التحتية للاستفادة من مزايا الاستراتيجيات التنافسية، وذلك للحصول على ثقة الأطراف المتعاملة معها وزيادة حصتها السوقية، مما يدعم مكانتها التنافسية في عالم أصبحت فيه المنافسة محتدمة، ومتاح للجميع اختيار وتطبيق استراتيجية تنافسية واحدة أو أكثر تناسب والبيئة المحيطة.

الاستراتيجيات التنافسية المعاصرة

وهي الاستراتيجيات التي تعتمد على موارد وقدرات المؤسسة كمنطلق لبناء ميزة تنافسية مستدامة، مع إهمال تأثير البيئة الخارجية على المؤسسة عند اختيارها لاستراتيجيتها، عكس الاستراتيجيات التنافسية العامة.

وتعرف الميزة التنافسية المستدامة بأنها قدرة المنظمة على إيجاد شيء منفرد ومختلف يميز منتجاتها من السلع والخدمات التي تقدمها

المبحث الثالث: مؤشرات الأداء المالي في المصارف الإسلامية

يمكن أن تصنف مؤشرات الأداء في المصارف الإسلامية حسب العوامل التي تساهم في نجاح تلك المصارف، إلى مؤشرات لتقييم الأداء الشرعي ومؤشرات لتقييم الأداء المصرفي ومؤشرات لتقييم الأداء الاقتصادي، وأخيراً مؤشرات لتقييم الأداء الاجتماعي، فضلاً عن وجود صيغ ومعايير أخرى يمكن الاستفادة منها وتطبيقها لتقييم الأداء المالي للمصارف الإسلامية، ومن تلك المؤشرات ما يلي:

مؤشرات الأداء لتقييم الأداء المصرفي

يتم تقسيم المؤشرات لتقييم الأداء المصرفي وفقاً لعدة مؤشرات منها مؤشرات الأداء المتعلقة بمعايير تحقيق الربحية ومنها ما يتعلق بمعايير التسويق المصرفي والهندسة المالية ومنها ما يتعلق بمعايير إدارة المخاطر وكفاية رأس المال وإدارة السيولة⁽²¹⁾. ومن مؤشرات الأداء المتعلقة بتحقيق الربحية هي:

أ- مؤشر نمو الإيرادات: ويقاس هذا المؤشر معدل التطور في إيرادات المصارف الإسلامية وإن الزيادة في الإيرادات تدل على أمرين: الأول، هو تطبيق سياسة تسعير الخدمات بشكل عادل، والثاني هو زيادة عائدات الاستثمار الذي يدل على زيادة الموجودات الاستثمارية وتحسينها⁽²²⁾.

ب- مؤشر العائد على الموجودات: ويبين هذا المؤشر نسبة الربح الصافي بعد الضريبة إلى إجمالي الموجودات، أي أن هذا المؤشر يعكس العائد على الموجودات الإجمالية ويبين مدى كفاءة إدارة المصرف في تحقيق أهدافها⁽²³⁾.

مؤشرات الإنتاجية (التوظيف)

وفيها يتم تطبيق مجموعة من الصيغ والمعادلات وأبرزها⁽²⁴⁾:

أ. معدل توظيف الودائع: وهو يقاس نسبة الاستثمارات إلى مجموع الودائع، ويبين هذا المعدل مدى كفاءة المصرف في توظيف الودائع لديه في استثمارات مدرة

إيجابياً عن المنافسين في نظر العملاء من خلال قيام المنظمة بأداء أنشطتها بصورة أكثر كفاءة وفعالية.⁽¹⁸⁾

لقد تم اعتبار الموارد والقدرات التي تملكها المؤسسة هي أساس وجوهر بناء ميزة تنافسية مستدامة تعتمد عليها لمواجهة منافسيها والبقاء في السوق الذي تنشط فيه، بالشكل الذي يساهم في زيادة فعاليتها وكفاءتها.⁽¹⁹⁾ كما عرفت الموارد والكفاءات التي يمكن للمؤسسة الاعتماد عليها لبناء ميزتها التنافسية المستدامة بأنها نظام تتفاعل فيه مجموعة من العناصر التكنولوجية والبشرية والتنظيمية والثقافية التي تملكها المؤسسة، وتتمثل هذه القدرات في التقنيات المستخدمة والعنصر البشري، إضافة إلى التنظيم والتخطيط، وكذلك ثقافة المؤسسة وهي مجموعة القيم والمعايير التي توجه العنصر البشري في المؤسسة.⁽²⁰⁾

الاستراتيجيات التنافسية العامة (Miles & Snow)

تبين سابقاً أن استراتيجية بورتر ركزت على طريقة مواجهة المنافسة من قبل المؤسسة في السوق، أما الباحثان (Miles & Snow) فقد ركزا على مكانة المؤسسة في السوق وانطلاقاً منها سوف تبني استراتيجيتها التنافسية، والتي قد تكون مبتكرة لسلع وخدمات جديدة بشكل متواصل، مدافعة عن حصتها السوقية بكل شراسة، متريثة لغاية اتضح الرؤية أو متفاعلة بشكل عشوائي مع بيئتها.

الاستراتيجيات التنافسية حسب مكانة المؤسسة في الصناعة

إن عامل الزمن يلعب دوراً كبيراً في رسم خريطة صناعة ما، وقد تم تقسيم المؤسسات حسب توقيت ظهورها في السوق إلى مؤسسات رائدة، ومتحدية، وتابعة ومتخصصة، وكل واحدة منها تتميز بتطبيق استراتيجية تنافسية تختلف عن الأخرى.

ج. نسبة التسهيلات إلى الودائع: وقيس هذا المؤشر مدى قدرة المصرف على تزويد عملائه بالأصول على شكل تسهيلات ائتمانية من الودائع الموجودة لديه.

د. نسبة التسهيلات إلى الموجودات: وقيس هذا المؤشر مدى كفاءة المصرف وقدرته في توظيف موجوداته على شكل تسهيلات ائتمانية.

للعوائد، وتعود أهمية هذه الصيغة إلى أن الودائع يجب أن تدفع لأصحابها أرباح وبالمقابل يجب على المصرف استغلالها بالشكل الأمثل للحصول على فرق أرباح مناسب.

ب. معدل توظيف الموارد المتاحة: ويعد هذا المعدل مؤشر جيد لقياس مدى كفاءة المصرف في توظيف موارده المالية في أصول منتجة تدر عائداً.

الفصل الثاني: متطلبات تطبيق الاستراتيجيات التنافسية في المصارف الإسلامية

المبحث الأول: متطلبات تطبيق الاستراتيجيات التنافسية العامة لبورتر (Porter)

في المصارف الإسلامية

عوضاً يقابل ما بدل من طرفه وهو ما يسمى بالثمن العدل الذي يعبر عن القيمة الحقيقية للمنتج وبعيداً عن البخس وهو التقليل من شأن خدمات ومنتجات الغير لأخذها بسعر أقل من قيمتها الحقيقية، وهذا الفعل ظلم وعدوان⁽²⁸⁾، وهذا واضحاً في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾⁽²⁹⁾

ويتضح أن المصارف الإسلامية بإمكانها اتباع استراتيجية تقليص التكاليف لتخفيض أسعار خدماتها ومنتجاتها، وذلك بالاعتماد على تطبيق المعايير المعتمدة ذات العلاقة بالخدمة أو المنتج، مع ضرورة الحفاظ على الجودة والنوعية، مراعية شروط المنافسة المشروعة وعدم الإضرار بمصالح الأطراف المنافسة الأخرى، بالاستناد إلى حديث رسول الله ﷺ «لا ضرر ولا ضرار»⁽³⁰⁾، وبهذا تحصل المصارف الإسلامية على ميزة تنافسية جوهرية تتفوق بها على منافسيها.

ومن بين المزايا التي تحققها استراتيجية التكلفة الأقل: تخفيض السعر في السوق لجلب المزيد من العملاء وبالتالي زيادة الحصة السوقية لها؛ حماية المؤسسة من هجمات المنافسين عند

إن المصارف الإسلامية بإمكانها تطبيق واحدة أو أكثر من الاستراتيجيات الثلاث السابقة، ولكل منها متطلبات محددة، كما يلي:

متطلبات تطبيق استراتيجية تخفيض التكلفة في المصارف الإسلامية

وتعرف هذه الاستراتيجية بأنها تقديم نفس القيمة أو قيمة أحسن منها للمستهلكين بتكلفة أقل مقارنة مع المنافسين⁽²⁵⁾، كما أن استراتيجية تخفيض التكلفة تعتمد على تقليص التكاليف بمختلف أنواعها للوصول إلى استخدام السعر كوسيلة للتنافس، أي تخفيض السعر مقارنة مع باقي المنافسين، ومن الحقوق المكفولة بموجب الدين الإسلامي هو حرية تحديد سعر الخدمات والمنتجات بمختلف أنواعها⁽²⁶⁾، وهذا الثمن أو العوض الذي يتم دفعه للحصول على السلع والخدمات يكون عادلاً أو يسمى بثمن المثل أي الذي يحدد بناءً على حركة العرض والطلب وهو يعكس التكاليف المحتملة وهامش ربح معقول، ويلعب جهاز الأسعار في الأحوال العادية دوره التلقائي في تخصيص الموارد وتوجيه الإنتاج وتوزيعه⁽²⁷⁾. وتنص مبادئ الشريعة الإسلامية على ضرورة التراضي في غير معصية وأن يأخذ كل طرف

تخفيض أسعارهم، تعظيم فعالية نشاطها بالبحث عن أفضل الطرق للحد من التكاليف؛ تشكل حاجزاً قوياً أمام دخول مؤسسات جديدة للنشاط، نظراً لعدم تمكنها من تخفيض تكاليفها في بداية النشاط، كما تحد من ظهور المنتجات البديلة طوال توفر المنتج وبأقل الأسعار مما يقلل حدة المنافسة وتعظم الأرباح على المدى المتوسط والطويل، حيث تضحي المؤسسة بالربح الحالي للمستقبل⁽³¹⁾.

متطلبات تطبيق استراتيجية التمييز في المصارف الإسلامية

وتعرف هذه الاستراتيجية بأنها «إنتاج المؤسسة لمنتجات تختلف في جوانب معينة عن تلك الموجودة لدى المنافسين، شرط أن يكون لهذا الاختلاف قيمة لدى المشتري»⁽³²⁾. إن عنصر الابتكار وتحسين الجودة يؤدي إلى زيادة الحصة السوقية للمؤسسة وبالتالي زيادة ربحتها وتعزي نموها، مما يساعدها على زيادة الاستثمار في مجال البحوث والتطوير، ويعني قدرتها على تطوير وتقديم منتجات وخدمات جديدة على الدوام ترضي وتستجيب للتغيرات الطارئة في احتياجات عملائها ما يضمن لها ولائهم وبالتالي تحقيق ميزة تنافسية ومستمرة⁽³³⁾.

وتمثل الجودة شرطاً جوهرياً لقبول الخدمة أو المنتج ونجاحه سواء في الأسواق المحلية أو الدولية، وهي شرط أساسي لزيادة القدرة التنافسية للمؤسسة، فمن أهم عوامل نجاح المؤسسات هو تمييزها النسبي في الجودة⁽³⁴⁾.

واستناداً على ما سبق فإن التمييز الذي ترمي إليه المصارف الإسلامية لا بد أن يكون حقيقياً واضحاً في كافة أنشطتها وخدماتها ومنتجاتها وأن يضيف قيمة حقيقية للعميل، ومن الممكن أن يكون

التمييز في ابتكار أو تطوير خدمة ومنتج أو في طريقة وأسلوب التقديم، مع الالتزام بتطبيق المعايير ذات العلاقة، ولا بد للمصارف الإسلامية عند اتباع هذه الاستراتيجية توجيه كل ما تملكه من بنية تحتية موارد وقدرات وكفاءات وتقنيات ولكن دون إسراف أو تبذير من أجل تلبية رغبات عملائها، مع ضرورة الاهتمام بإبراز الدور الاجتماعي والتموي لها والتمييز فيه عن طريق ما تقدمه من دعم للمجتمع الذي تعمل فيه والبيئة المحيطة بها، وبهذا تحصل على ميزة تنافسية شمولية مستدامة.

إن امتلاك عنصر التمييز والحفاظ عليه يتطلب بذل الكثير من الجهود وتسخير كل ما تملكه المصارف الإسلامية من موارد وقدرات وإمكانات والوصول لذلك التمييز باتباع الخطوات التالية:

أ. امتلاكها لفكرة مختلفة عن منافسيها، وهذه الفكرة عبارة عن الدراسات التي تقوم بها لمعرفة حاجات ورغبات المستهلكين الحاليين أو المحتملين مع إقناع المؤسسة لعملائها بأن منتجاتها مختلفة ومتميزة، وتحمل قيمة توازي السعر الموضوع لها، وهو ما يسهم في خلق الولاء لمنتجاتها وما يعزز الولاء هو استخدام المستهلك للمنتج والتأكد من مطابقة لما تم الترويج له.⁽³⁵⁾

ب. حيازة المنتج الذي يجعل فكرتها قابلة للتطبيق، وهذا يتطلب امتلاكها للإمكانات المادية والبشرية التي تمكنها من تجسيد الخصائص التي وقع عليها اختيارها في المنتج المعني.⁽³⁶⁾

ومن بين المزايا التي تحققها استراتيجية التمييز التنافسية، أن المنتجات المتميزة قليلة الحساسية للتغير في السعر، والسبب أن الدافع الرئيسي لإقبال المستهلكين عليها ليس السعر، بل للحصول على القيمة الإضافية التي يبحثون عنها،

والميزة الأخرى هي جني أرباح كبيرة كلما زاد الفرق ما بين السعر الناتج عن التميز والتكلفة المنفقة في سبيله، ما يستدعي من المؤسسة الاهتمام بضغط التكاليف إلى حد قريب من مستواها لدى المنافسين⁽³⁷⁾، ولقاء العملاء لمنتج المؤسسة يعتبر عاملاً رئيسياً في الحد من الضغوط التنافسية، قد تملك المؤسسة المتميزة أسراراً خاصة لتمييز منتجاتها، من الصعب تقليدها أو محاكاتها بنفس الطريقة وهو ما يشكل حاجزاً أمام ظهور المنافسين الجدد⁽³⁸⁾، كما أن استمرار محافظة المؤسسة على مصادر تميزها لفترة زمنية معينة يجعلها محمية من هجمات المنافسين⁽³⁹⁾.

وبناءً على ما تقدم يمكن بلورة المتطلبات التي لا بد من توفرها في المصرف الإسلامي والخدمة أو المنتج لتحقيق التميز، كما يلي:

أولاً: على مستوى المصرف الإسلامي

أ. التزام المصرف الإسلامي بتطبيق المعايير المحاسبية الإسلامية جميعها؛
ب. امتلاك المصرف الإسلامي جهاز بحث وتطوير لإعداد دراسات الجدوى فعال قادر على الوصول إلى مصادر التميز وتجسيده على أرض الواقع بمنتجات تلبي رغبات العملاء ويتكاليف معقولة؛

ج. أن يكون للمصرف الإسلامي قدرات تسويقية كبيرة واستراتيجيات لإقناع العملاء بأن خدماته ومنتجاته هي الأفضل، وأن يكون لها جهاز لبحوث السوق قادر على رصد تغيرات البيئة التنافسية.⁽⁴⁰⁾

ثانياً: على مستوى الخدمة أو المنتج

أ. الالتزام بتطبيق المعايير المحاسبية ذات العلاقة بالخدمة أو المنتج.

ب. أن يشكل السعر عاملاً ضعيفاً لاتخاذ قرار الشراء لدى العميل، حيث يبحث عن أمور أخرى في المنتج، إذ أن استراتيجية التميز لا يمكن استخدامها إلا مع منتجات يكون الطلب عليها قليل الحساسية للسعر.

ج. أن يدرك العميل القيمة الإضافية التي يحملها المنتج، بالشكل الذي يجعله يتقبل السعر المرتفع.

د. أن يكون سوق المنتج المتميز واسع بما فيه الكفاية، حتى تتمكن المؤسسة المعنية من الإنتاج بكميات كبيرة وتغطي التكاليف التي تتطلبها عملية التميز.⁽⁴¹⁾

متطلبات تطبيق استراتيجية التركيز في المصارف الإسلامية

تعرف المؤسسة المركزة هي التي تستعمل قدراتها وجهودها ليس لخدمة السوق ككل، وإنما لخدمة قطاع واحد أو أكثر من القطاعات السوقية المتاحة في الصناعة⁽⁴²⁾ وتعتمد هذه الاستراتيجية على اختيار نطاق تنافسي ضيق داخل صناعة ما، حيث تبني استراتيجيتها على خدمة قطاع أو عدد محدود منها بهدف بناء ميزة تنافسية على مستواها، ومن مجالات التركيز، ما يلي:

أ. التركيز على عملاء معينين يتم اختيارهم وفقاً لمعايير مختلفة كالسن، الجنس، العادات، الدين؛
ب. التركيز على منتج أو منتجات محددة دون غيرها مما يجعل جهود المؤسسة تنصب عليها؛
ج. التركيز على مناطق جغرافية معينة بالشكل الذي يمكنها من تغطيتها بكفاءة⁽⁴³⁾.

وبذلك يتضح أن اتباع المصارف الإسلامية لاستراتيجية التركيز لا بد أن يكون وفقاً لدراسات جدوى حثيثة وذلك لاختيار الخدمة أو المنتج الذي

للمؤسسة بالبحث والتطوير على مستوى المنتجات المقدمة لقطاعها والمؤسسة المركزة تكون قادرة بشكل أكبر على تحقيق أهدافها الاستراتيجية.⁽⁴⁴⁾

ويتبين مما سبق أن بإمكان المصارف الإسلامية أن تعمل بكل طاقاتها وإمكاناتها وقدراتها على تقديم خدمات ومنتجات تتميز عن ما يقدمه المنافسون من ناحية التزامها بتطبيق المعايير المحاسبية الإسلامية، والتي بتطبيقها يضمن المصرف الإسلامي الاستحواذ على ثقة المتعاملين معه لما يقدمه لهم من معلومات تخص الخدمات والمنتجات يفصح عنها بصورة واضحة وشفافة، وهذا يمكن أن يصنف ضمن استراتيجية التمييز التي تركز على إضافة قيمة أكبر للعميل، كما يمكن أن يتبع المصرف الإسلامي استراتيجية التكلفة الأقل والتركيز معاً عن طريق تلبية رغبات العملاء واحتياجاتهم بكلفة أقل وبجودة أعلى وبهذا تزداد حصته السوقية بشكل مستمر ويتفوق على منافسيه لتنوع وتعدد الاستراتيجيات التنافسية المستخدمة.

المبحث الثاني: متطلبات تطبيق الاستراتيجيات المعاصرة في المصارف الإسلامية

وهناك مجموعة من الشروط التي لا بدّ من توفرها في الموارد والكفاءات التي تملكها المؤسسة لكي تكون مصدراً للميزة التنافسية، ومنها أن لا تكون للمؤسسات المتنافسة نفس الموارد والقدرات في ممارسة نشاطها، فحتى تكون مصدراً للميزة التنافسية يجب أن تكون متميزة عن بعضها البعض أو لديها تفوق في جانب معين منها؛ وأن تمتلك المؤسسة آليات معينة لمنع المنافسين من إعادة انتهاج نفس استراتيجيتها، كذلك أن يكون المورد أو الكفاءة غير قابل للانتقال للمنافسين، سواء بالبيع أو بأي طريقة أخرى. وأيضاً أن يبقى سر تكوين الميزة التنافسية

سيكتف جهودها في تقديمه أو في عملية اختيار الفئات المستهدفة أو في عملية تحديد المجال الجغرافي الذي يركز نشاطه فيه، كما يجب أن تضم دراسات الجدوى المنافسين الحاليين والمتوقع دخولهم للسوق سواء كان نشاط المصرف الإسلامي محلياً أو دولياً، ولا بدّ من مراعاة الخدمات والمنتجات التي تضيف قيمة حقيقية للعملاء والتركيز على ما يخدم التنمية الاقتصادية للمجتمع الذي يعمل فيه المصرف، وهذا يزيد من ثقة المتعاملين معه، مراعيًا عدم التمييز بين فئات المجتمع وتوزيع مجال أنشطته وتوزيعها لخدمة أكبر عدد من الأطراف ذات العلاقة، وبهذا تزداد حصته السوقية ويحصل على ميزة تنافسية مستدامة. ومن المزايا التي تحققها استراتيجية التركيز التنافسية هي: انخفاض الضغوط التنافسية على مستوى القطاع المركز عليه مقارنة مع السوق الكلي يتيح للمؤسسة حرية أكبر في الحركة واستمرار النشاط لأطول مدة ممكنة، التركيز يسمح للمؤسسة بالتفرغ لعملائها والوفاء باحتياجاتهم، التركيز يسمح

وبالاطلاع على ما حققته المصارف الإسلامية اليوم من إنجازات، يمكن أن نؤكد أنها تمتلك الموارد والقدرات والإمكانات والكفاءات والبنية التحتية التي تؤهلها للحصول على ميزة تنافسية مستدامة، في ما إذا تم توجيه واستغلال وإدارة تلك الموارد والقدرات والكفاءات، بطريقة سليمة مدروسة وكفوءة مع الالتزام التام بتطبيق المعايير المحاسبية الإسلامية، وبذلك ستحصل المصارف الإسلامية على ثقة المتعاملين معها وولائهم لما تقدمه من خدمات ومنتجات نتيجة ثقتهم بما يقدمه المصرف ويفصح عنه من معلومات واضحة وشفافة بالاعتماد على المعايير ذات العلاقة.

لدى المؤسسة المعنية مجهولاً لدى المنافسين، وهو ما يصعب من فك شفرتها وبالتالي تحافظ المؤسسة على تميزها لأطول فترة ممكنة.⁽⁴⁵⁾

وبناءً على ما سبق فإن الشروط السابقة في حال توافرها في موارد وقدرات المصرف الإسلامي أي في بيئته الداخلية، ستدعم عملية حصوله على ميزة تنافسية شمولية، مع الاهتمام ودراسة البيئة الخارجية المحيطة بالمصرف الإسلامي والاستفادة من الفرص المتاحة فيها، وخاصة بعد الانتشار الواسع للصيرفة الإسلامية.

المبحث الثالث: متطلبات تطبيق الاستراتيجيات التنافسية العامة لـ (Miles & Snow) في المصارف الإسلامية

متطلبات تطبيق استراتيجية المبتكر من منظور المصارف الإسلامية

إن المؤسسة التي تتبنى استراتيجية الابتكار ترفع شعار التجديد في السوق، حيث تبذل كل ما في وسعها من أجل الوصول إلى ابتكار منتجات موجهة لفئات جديدة أو لقطاعات سوقية معينة. ومن أجل الوصول إلى مرتبة الابتكار لا بد من امتلاك قدرات مادية وبشرية كبيرة، وجهاز بحث متطور وفعال وقادر على مواكبة كل التغيرات التي يمكن أن تطرأ على السوق، ومن أهم إيجابيات هذه الاستراتيجية:

أ. المؤسسة المبتكرة عادة ما تكون الرائدة في قطاعها مما يمكنها من السيطرة على عدة متغيرات لصالحها كتحديد الأسعار والكميات المنتجة، وأساليب الترويج، والسيطرة على قنوات التوزيع، بمعنى آخر أن الابتكار يمكنها من الفوز بأهم الفرص التسويقية التي يتيحها السوق المعني؛

ب. المؤسسة المبتكرة قادرة مع مرور الوقت على الاستفادة من اقتصاديات السلم ومنحنى الخبرة مما يمكنها من تخفيض تكاليفها وتخفيض أسعارها مما يتيح لها ميزة إضافية على منافسيها؛

ت. إن عرض المؤسسة المبتكرة لمنتج يكون وحيداً في السوق، يجعل تكلفة استبداله مرتفعة من قبل المستهلكين، وهو ما يشكل عامل إضافي لتكوين حواجز أمام دخول المنافسين؛ لذا فإن المؤسسة المبتكرة هي مؤسسة دائمة الحركة للبحث عن فرص جديدة قد تتاح لها في أية لحظة على مستوى السوق وهو ما يتطلب منها مرونة كبيرة لمواجهة التغيرات المحتملة.⁽⁴⁶⁾

ويلاحظ أن المصارف الإسلامية سعت وما زالت لابتكار وتطوير وتقديم كل ما يلبي رغبات عملائها ويضيف لهم قيمة، وبالتزامها بتطبيقاتها للمعايير المحاسبية الإسلامية بصورة كاملة ستكون رائدة في هذا المجال وهذا يدعم ويعزز مكانتها التنافسية.

متطلبات تطبيق استراتيجية المدافع من منظور المصارف الإسلامية

في هذه الاستراتيجية ينظر إلى المؤسسة المدافعة بأنها تعمل على المحافظة على حصتها السوقية، عن طريق عزل سوقها عن منافسيها باستعمال الطرق التالية:

أ. تخفيض التكاليف ورفع كفاءة التشغيل؛
ب. تقديم نوعية رفيعة من المنتجات باختيار أفضل المواد واستخدام أحدث التكنولوجيات؛
ت. الاهتمام بجودة خدمات ما بعد البيع، خاصة من حيث السرعة والإتقان؛

على النتائج المحققة تتخذ القرار بتوسيع نشاطها أو تتوقف؛ إذا كانت النتائج مخالفة لما هو مخطط له.⁽⁴⁸⁾ وبالاعتماد على ما سبق فإن المصارف الإسلامية بإمكانها اتباع هذه الاستراتيجية بدمجها لعنصر الابتكار والدفاع عن حصتها السوقية، وذلك بالتزامها بتطبيقها للمعايير المحاسبية الإسلامية عند القيام بكافة أنشطتها، وهذا سيدعم تقديم خدمات ومنتجات مبتكرة تلبى رغبات عملائها وتحافظ على ثقتهم وولائهم لها.

متطلبات تطبيق استراتيجية المتفاعل من منظور المصارف الإسلامية

إن المؤسسة المتفاعلة هي تلك التي تستجيب للتغيرات البيئية بكل ما تحمله من فرص وتهديدات بشكل استعراضي وغير مدروس، حيث لا تضع الإدارة خططاً طويلة الأجل تسهر على تطبيقها وفقاً لآلية معينة، بل تتخذ إجراءات تمكنها من مواجهة الظروف الحالية لها، وقد تنجح في ذلك أو تفشل، ولهذا يشكك الباحثون في أن تكون هذه الطريقة عبارة عن استراتيجية.⁽⁴⁹⁾

ويلاحظ أن زيادة ديناميكية المتغيرات البيئية، أي زيادة سرعتها يؤدي إلى ارتفاع أهمية التخطيط الاستراتيجي، وتتأثر ديناميكية البيئة بالمتغيرات في التكنولوجيا وفي أذواق وتفضيلات العملاء، وتحركات المنافسين الفاعلين. لذلك تحتاج المنظمة لاستراتيجية تتيح لها المواجهة السريعة والفاعلة لهذه المتغيرات. وستشمل هذه الاستراتيجية كل أنشطة المنظمة بدءاً من تدير التمويل ومروراً بالحصول على مستلزمات الإنتاج وتصميم منتجات جديدة أو تطوير منتجات قائمة، وتحديث عمليات الإنتاج وتطوير أنشطة الترويج،

ث. عرضها لعدد محدود من المنتجات مقارنة مع منافسيها، وبصفة عامة فالمؤسسة المدافعة تبحث بشكل متواصل عن سوق يتميز بالاستقرار النسبي بالشكل الذي يمكنها من الاستمرار في تقديم نفس المنتج، عن طريق إدخال تحسينات وتعديلات عليه، ولهذه الطريقة إيجابيات عدة أهمها انخفاض تكلفتها مقارنة مع الابتكار، ومحدودية مخاطرها لاستمرارها في التعامل مع نفس العملاء، وهي استراتيجية بسيطة لا تتطلب أكثر من تركيز المؤسسة على قطاعها السوقى والاهتمام بتحسين المنتج والمؤسسة المدافعة عادة ما تكون مستقرة وقليلة الحركة لتحصنها داخل قطاعها السوقى.⁽⁴⁷⁾

واستناداً إلى ما سبق فإن المصارف الإسلامية بإمكانها اتباع هذه الاستراتيجية والدفاع عن حصتها السوقية بالتزامها بتطبيق المعايير المحاسبية الإسلامية، مما يحافظ على ثقة المتعاملين معها وبما تقدمه من خدمات ومنتجات، وبالتالي ضمان استمرارهم بالتعامل مع المصرف وسيكون المصرف الإسلامي مستقراً دون تحمل أي تكاليف إضافية وبالتالي لن تتأثر أسعار الخدمات والمنتجات.

متطلبات تطبيق استراتيجية المحلل من منظور المصارف الإسلامية

إن المحلل يتميز باستقرار المدافع ومرونة المبتكر؛ لذا فإن حالة المؤسسة في استراتيجية المحلل تمزج ما بين استراتيجية الابتكار والدفاع، حيث تبحث عن منتجات جديدة، ولكنها تسعى إلى حصر هذا النشاط في أسواق محدودة؛ وذلك لحين اتضاح الرؤية حول مدى جدوى هذا الاستثمار وبناءً

وتعديل الأسعار وتهيئة قنوات التوزيع أو تقديم جديد للمنتجات، مع الحفاظ على القنوات الحالية بما يوسع نطاق التواجد السوقي للمنظمة.⁽⁵⁰⁾

وبناءً على ما سبق فإن على المصارف الإسلامية أن تهتم بدراسة البيئة المحيطة بها، وإعداد دراسات جدوى مستفيضة لأي خدمة أو

منتج تنوي تقديمه، مع بذل الجهود لتحقيق أهدافها المحددة مسبقاً بفاعلية، وذلك عن طريق إدارة وتوجيه كل مواردها وقدراتها بكفاءة عالية، مع التأكيد على ضرورة الالتزام بتطبيق المعايير المحاسبية الإسلامية، وهذا ما يعزز ويدعم الحصول على ميزة تنافسية تستطيع المصارف الإسلامية من خلالها مواجهة أي مستجدات في البيئة المحيطة بها.

المبحث الرابع: متطلبات تطبيق الاستراتيجيات التنافسية حسب مكانة المؤسسة بالصناعة في المصارف الإسلامية

متطلبات تطبيق استراتيجية المؤسسة الرائدة من منظور المصارف الإسلامية

إن المؤسسة الرائدة هي التي أسست الصناعة لأول مرة أو تحتل الريادة في صناعة موجودة من قبل، وهذه الوضعية تسمح للمؤسسة بالتمتع بالكثير من المزايا، أهمها وضع وترسيخ قواعد العمل في سوق الصناعة المعنية، وتمكنها في غالب الأحوال من امتلاك حصة سوقية كبيرة⁽⁵¹⁾، وتسعى تلك المؤسسة الرائدة إلى الحفاظ على تلك الحصة والعمل على الدفاع عنها، أو تعمل على تحسينها مستقبلاً عن طريق الخطوات التالية:

- أ. زيادة الطلب على منتجها بجذب مستهلكين جدد، أو إيجاد استخدامات جديدة له، أو زيادة معدل استهلاكه لدى العملاء القدامى؛
- ب. رفع حصتها السوقية عن طريق إيجاد أسواق جديدة أو التوسع في أسواق المنافسين؛
- ت. كبح هجوم المنافسين بكل الطرق الممكنة للحفاظ على حصتها السوقية.⁽⁵²⁾

تعريف الريادة الاستراتيجية للمنظمات بأنه يشمل المنظمات والعاملين ورجال الأعمال، والريادة الاستراتيجية لا تعني بالضرورة نمو منظمات الأعمال بل هي ظاهرة أهم، حيث تشمل الريادة الاستراتيجية الاجتماعية وحتى المنظمات الخدمية.⁽⁵³⁾

ولقد اختلف الاقتصاديين في تحديد أنواع الابتكار في المؤسسة لأن عددها في تزايد مستمر ويمكن تقسيم أنواع الابتكار، كما يلي⁽⁵⁴⁾:

- طبيعة الابتكار.
- درجة الابتكار.

ونرى أن المصارف الإسلامية بإمكانها أن تكون مؤسسة رائدة، ليس فقط بنوعية خدماتها ومنتجاتها، وإنما بمبادرتها بالالتزام بتطبيق المعايير المحاسبية الإسلامية، مما يزيد الطلب على كل ما تقدمه تلك المصارف، وذلك لثقتهم بآليات عمل تلك المصارف، وهذا ما يدعم حصتها السوقية وتفوقها على منافسيها.

متطلبات تطبيق استراتيجية المؤسسة المتحدية من منظور المصارف الإسلامية

إن المؤسسة المتحدية هي تلك التي تظهر بعد رائد الصناعة، وتكون قريبة في قدراتها وإمكانياتها من المؤسسة الرائدة، وحصتها السوقية قد تكون أقل أو أكبر منها، وتقوم استراتيجيتها على البحث عن كل الطرق والوسائل التي تمكنها من تنمية حصتها السوقية على حساب المؤسسة الرائدة⁽⁵⁵⁾، وذلك عن طريق الأساليب التالية:

أ. مواجهة المؤسسة القائدة عن طريق استغلال نقاط ضعفها؛

ب. الوصول إلى ابتكار جديد تجذب من خلاله زبائن المؤسسة الرائدة؛

ت. التركيز على الحاجات غير المشبعة لدى زبائن المؤسسة الرائدة.⁽⁵⁶⁾

ويتبين أن المصارف الإسلامية يمكن أن تكون متحدية ولكن ليس عن طريق زيادة حصتها السوقية بجذب زبائن المصارف الإسلامية الرائدة واستغلال نقاط الضعف لدى تلك المصارف لأن هذا ليس من مبادئ الإسلام في معاملة المنافسين، وإنما الاهتمام بمعرفة نقاط القوة لدى المنافسين والعمل على دراستها وتحليلها والاستفادة من تطويرها وتعزيزها لدى المصرف الإسلامي نفسه مع الاستفادة من الفرص المتاحة في البيئة المحيطة، وبالإمكان أن يكون التحدي عن طريق المبادرة في الالتزام بتطبيق المعايير المحاسبية الإسلامية وهذا سيكون إشباع لحاجات ورغبات المتعاملين مع المصرف الإسلامي ويزيد من ثقتهم وولائهم له، كما قد يكون التحدي في المصارف الإسلامية بما تقدمه لدعم التنمية الاقتصادية في المجتمع الذي تعمل فيه.

متطلبات تطبيق استراتيجية المؤسسة التابعة من منظور المصارف الإسلامية

تكون الحصة السوقية للمؤسسة التابعة منخفضة مقارنة بالمؤسسة القائدة والمتحدية، كما أن ظهورها عادة ما يكون مؤخراً في سوق صناعتها، لمحدودية مواردها فهي غير قادرة على تحمل تبعات المعارك التنافسية التي قد تكون طويلة الأجل⁽⁵⁷⁾ ولهذا تعمل على تقليد المؤسسة الرائدة واقتطاع حصة سوقية لها تحافظ عليها من التقهقر بوضع استراتيجية دفاعية⁽⁵⁸⁾، ورغم صغر الحصة السوقية

للمؤسسة التابعة، إلا أن وضعها يكون مستقراً لأنها لا تبحث عن اكتساح السوق، بل تكفي بالتقليد والحصول على مزايا المؤسسات الرائدة⁽⁶⁰⁾ وقد تحقق المؤسسة التابعة معدلات أرباح أكبر من القائد لأنها لا تتحمل التكاليف الضخمة وتكتفي بجني أرباح التقليد.⁽⁶⁰⁾

ويتضح لنا أن المصارف الإسلامية وباعتمادها في جميع أنشطتها على مبادئ الشريعة الإسلامية لن تفكر فقط بالحصول على الأرباح وذلك لأن لديها أهداف اجتماعية إضافة إلى الأهداف الاقتصادية، ولذا فإن عليها إدارة ما تملكه من موارد وقدرات بكفاءة مهما كانت محدودة، وعدم اللجوء إلى التقليد الحرفي لخدمات ومنتجات المنافسين بسبب أن أرباحها ستكون لفترة قصيرة فقط، وإنما العمل على تطوير وتحسين آليات عملها والالتزام بتطبيق معايير المحاسبية الإسلامية وتوجيه كل ما تملكه لإشباع رغبات المتعاملين بشكل متميز ومختلف عن المنافسين، وبهذا الأسلوب ستزداد حصتها السوقية بمرور الوقت.

متطلبات تطبيق استراتيجية المؤسسة المتخصصة من منظور المصارف الإسلامية

إن المؤسسة المتخصصة تركز نشاطها على منتج معين على مستوى قطاع سوقي صغير، أو في منطقة جغرافية محدودة حيث تتفادى أي مواجهة مع المؤسسة القائدة أو المتحدية أو حتى التابعة، وتكون استراتيجية التخصص ملائمة للمؤسسة في الحالات التالية:

- أ. سيطرة منافس أو أكثر على السوق الكلي للمنتج، مع وجود قطاعات شاغرة؛
- ب. المؤسسة لديها ميزة تنافسية قابلة للاستمرار على مستوى القطاع المستهدف.⁽⁶¹⁾

وترى الدراسة أن المصارف الإسلامية بإمكانها اتباع استراتيجية التخصص، وذلك بعد إجراء دراسات جدوى وتحليل البيئة المحيطة بالمصرف وتحديد رغبات واحتياجات العملاء، وقد يكون مجال التخصص هو خدمة أو منتج، أو قد يكون قطاع اقتصادي معين أو منطقة جغرافية محددة، وفي جميع الأحوال على المصارف الإسلامية توجيه كل ما تمتلكه لإشباع رغبات عملائها والحصول على ثقتهم وولائهم، ملتزمة بتطبيق المعايير المحاسبية الإسلامية، وهذا ما سيدعم حصولها على ميزة تنافسية. إن مركز المؤسسة في الصناعة محصلة للعديد من العوامل المرتبطة بوضعها وبالصناعة التي تنتمي إليها كذلك، وكل صناعة فيها القائد والمتحدي وفيها التابع وقد نجد المتخصص، وذلك حسب طبيعة الصناعة المعنية وعدد المنافسين فيها. ومهما كان مركز المؤسسة فإنه يمكنها

استخدام نوعين من الآليات التي من خلالها تنفيذ استراتيجيتها التنافسية وهي⁽⁶²⁾:
أ. اتخاذ وضعية الهجوم⁽⁶³⁾: مثل المواجهة المباشرة، تطويق المنافس، هجوم المناورات الجانبية.
ب. اتخاذ وضعية الدفاع⁽⁶⁴⁾: مثل الدفاع الاستباقي، الدفاع الانكماش.

واستناداً على ما سبق يلاحظ أن قطاع الصيرفة الإسلامية بحد ذاته هو متميز باعتماده في جميع أنشطته وخدماته ومنتجاته على مبادئ الشريعة الإسلامية الغراء، وبمجرد الالتزام بتطبيقاتها يقود جميع العاملين في هذا القطاع إلى الالتزام بالمعايير الأخلاقية والقانونية، والعمل بشكل مستمر على إيجاد نقاط القوة وتعزيزها لمواجهة المخاطر والتحديات.

الفصل الثالث: التحليل الإطار العملي والاستنتاجات والتوصيات

يناقش هذا الفصل الجانب العملي من البحث والخاص بتحليل القوائم المالية للمصارف الإسلامية عينة لاختبار فرضيات البحث ومن ثم للتوصل إلى النتائج والتوصيات.

تقوم إدارة مراقبة المؤسسات المالية الإسلامية في مصرف البحرين المركزي بعملية مراقبة المؤسسات المالية الإسلامية، ومنها المصارف الإسلامية العاملة في قطاعي التجزئة والجملة، حيث أن مجتمع البحث يتكون من مجموعة المصارف العاملة في البحرين والمرخصة من قبل مصرف البحرين المركزي، وهي عبارة عن (ست مصارف في قطاع التجزئة) و(أربعة عشر مصرفاً في قطاع الجملة)، وقد تم استبعاد مصرفي (الخرطوم وبنك التمويل التركي) وذلك لحدثة التأسيس في عام 2015، وبنك ABSH تأسس في 2016، وكذلك تم استبعاد (بنك RA والبنك العربي الإسلامي وبنك المستثمرون) لتوقفهم عن العمل حالياً، وفيما يأتي جدول يبين نبذة مختصرة عن عينة البحث (عشرون مصرفاً)، وهي المصارف الإسلامية العاملة في مملكة البحرين ضمن قطاعي التجزئة والجملة:

الجدول (1) عينة البحث-المصارف الإسلامية العاملة في مملكة البحرين/ قطاعي التجزئة والجملة⁽⁶⁵⁾

التسلسل	اسم المصرف	قطاع العمل	تاريخ تصريح العمل في مملكة البحرين	عدد فروع المصرف	حقوق الملكية (رأس المال + حقوق الأقلية) 31-12-2016
1	مصرف البحرين الإسلامي	قطاع التجزئة	29-10-1978	8	308856
2	مصرف السلام	قطاع التجزئة	3-5-2005	18	861573
3	بنك اثمار	قطاع التجزئة	19-1-1982	18	602756
4	بنك بيت التمويل الكويتي	قطاع التجزئة	9-12-2001	12	977436
5	بنك البركة الإسلامي-البحرين	قطاع التجزئة	30-9-1983	11	43587000
6	مصرف الخليجي التجاري	قطاع التجزئة	20-10-2003	10	308713
7	مجموعة البركة المصرفية	قطاع الجملة	6-1-1998	1	2008581000
8	بنك ابدار	قطاع الجملة	19-3-2007	0	26662
9	بنك فينشر كابيتال	قطاع الجملة	3-5-2005	0	224294
10	بنك الخير	قطاع الجملة	6-1-2004	0	198076
11	بنك دار الاستثمار	قطاع الجملة	17-7-2007	0	90997425
12	بنك الاستثمار الدولي	قطاع الجملة	9-12-2001	0	111478
13	بنك ستي الاستثماري	قطاع الجملة	17-3-1996	0	12802
14	مصرف الطاقة الأول	قطاع الجملة	17-6-2008	0	675506
15	بنك الشراكة التركي-الكويتي	قطاع الجملة	13-2-2002	0	1243127
16	بيت التمويل الخليجي	قطاع الجملة	2-8-1999	0	1121707
17	بنك سيرة	قطاع الجملة	25-7-2006	0	91203
18	المصرف العالمي	قطاع الجملة	6-6-2007	0	117640
19	بنك ABC الإسلامي	قطاع الجملة	29-7-1985	0	306690
20	مركز إدارة السيولة	قطاع الجملة	11-6-2002	0	52024

المبحث الأول: متغيرات البحث والأساليب الإحصائية المستخدمة

ب- المتغير التابع (Y): ويتمثل بالأداء المالي للمصارف الإسلامية العاملة في مملكة البحرين للفترة (2010-2016)، وتم قياس الأداء المالي عن طريق: (معدل توظيف الودائع، العائد على الموجودات، الإيرادات) للمصارف الإسلامية عينة البحث.

ثانياً: لاختبار فرضيات البحث والوصول إلى النتائج النهائية سيتم الاعتماد على تحليل نموذج الانحدار وذلك باستخدام البرنامج الإحصائي (SPSS).

أولاً: تم تقسيم متغيرات البحث إلى متغير تابع ومتغير مستقل، حيث تم احتساب المتغيرات على النحو الآتي:

أ- المتغير المستقل (X): ويتمثل بمستوى تطبيق الاستراتيجيات التنافسية المتنوعة، وتم احتسابه عن طريق إعداد استمارة استقصاء لتحديد عدد الصيغ التمويلية والاستثمارية في كل مصرف ضمن عينة البحث ولسنوات البحث.⁽⁶⁶⁾

المبحث الثاني: الإحصاء الوصفي واختبار الفرضيات ومناقشتها

الإحصاء الوصفي لمتغيرات البحث: بلغت عدد المشاهدات لكل متغير في البحث 140 مشاهدة (20 مصرفاً إسلامياً خلال 7 سنوات)

أ- الإحصاء الوصفي لمتغير الاستراتيجيات التنافسية CS:

يظهر الجدول التالي الإحصاء الوصفي لمتغير الاستراتيجيات التنافسية المطبقة (مقاساً بعدد الصيغ التمويلية والاستثمارية) في المصارف الإسلامية عينة البحث للفترة الزمنية (2010-2016):

جدول (2) الإحصاء الوصفي لمتغير الاستراتيجيات التنافسية المطبقة (مقاساً بعدد الصيغ التمويلية والاستثمارية) في المصارف الإسلامية عينة البحث للفترة الزمنية (2010-2016)⁽⁶⁷⁾

Mean	6.35
Median	6.00
Mode	6
Std. Deviation	3.272
Variance	10.704
Minimum	2
Maximum	12
Sum	889

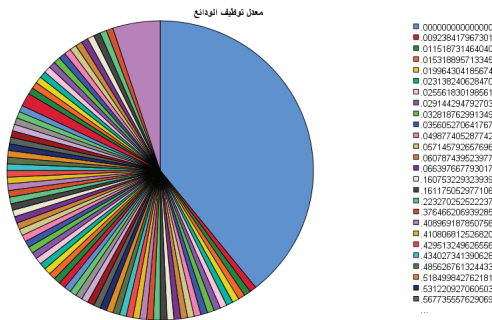
الشكل (3) الإحصاء الوصفي لمتغير الاستراتيجيات التنافسية المطبقة (مقاساً بعدد الصيغ التمويلية والاستثمارية) في المصارف الإسلامية عينة البحث للفترة الزمنية (2010-2016)⁽⁶⁸⁾



جدول (4) الإحصاء الوصفي لمتغير معدل توظيف
الودائع في المصارف الإسلامية عينة البحث للفترة
الزمنية (2010-2016) (71):

Mean	.385480566041624
Median	.192222652749672
Mode	.000
Std. Deviation	.399749089286146
Variance	.160
Minimum	.000
Maximum	1.000000000000000
Sum	53.967279245827410

الشكل (5) الإحصاء الوصفي لمتغير معدل توظيف الودائع
في المصارف الإسلامية عينة البحث للفترة الزمنية
(2010-2016) (72):



د- الإحصاء الوصفي لمتغير الإيرادات R

يظهر الجدول التالي الإحصاء الوصفي لمتغير معدل
توظيف الودائع في المصارف الإسلامية عينة البحث
للفترة الزمنية (2010-2016):

جدول (5) الإحصاء الوصفي لمتغير الإيرادات في
المصارف الإسلامية عينة البحث للفترة الزمنية
(2010-2016) (73):

Mean	47374398.66
Median	57881.00
Mode	69457
Std. Deviation	194961116.949
Variance	38009837121841080
Minimum	-106261
Maximum	1074159000
Sum	6632415812

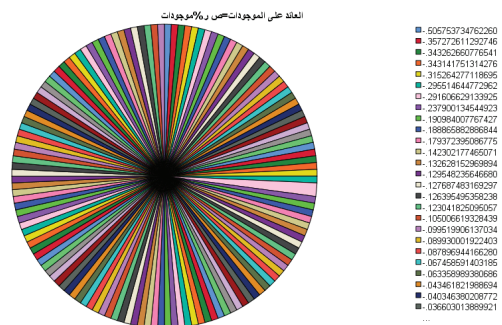
ب- الإحصاء الوصفي لمتغير معدل العائد على
الموجودات ROA

يظهر الجدول التالي الإحصاء الوصفي لمتغير معدل
العائد على الموجودات في المصارف الإسلامية عينة
البحث للفترة الزمنية (2010-2016):

جدول (3) الإحصاء الوصفي لمتغير معدل العائد على
الموجودات في المصارف الإسلامية عينة البحث للفترة
الزمنية (2010-2016) (69):

Mean	-.013770949820570
Median	.003453564721737
Mode	-.020678538270238
Std. Deviation	.130967259161383
Variance	.017
Minimum	-.505753734762260
Maximum	.965517241379310
Sum	-1.927932974879782

الشكل (4) الإحصاء الوصفي لمتغير معدل العائد على
الموجودات في المصارف الإسلامية عينة البحث للفترة
الزمنية (2010-2016) (70):

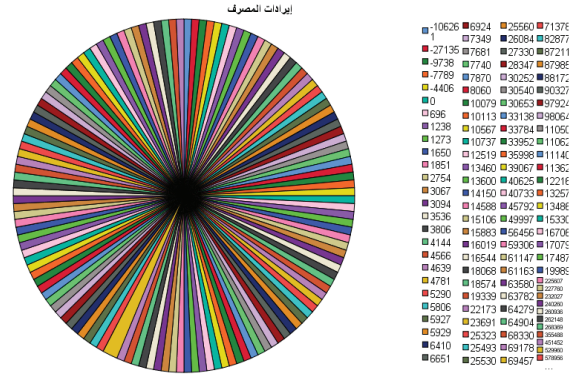


ج- الإحصاء الوصفي لمتغير معدل توظيف الودائع INF
يظهر الجدول التالي الإحصاء الوصفي لمتغير معدل
توظيف الودائع في المصارف الإسلامية عينة البحث
للفترة الزمنية (2010-2016):

الشكل (6) الإحصاء الوصفي لمتغير الإيرادات في

المصارف الإسلامية عينة البحث للفترة الزمنية

(2010-2016)⁽⁷⁴⁾



لقد تم استخدام أسلوب تحليل الانحدار البسيط لإختبار فرضية البحث الاولى، والتي كان فيها المتغير المستقل X هو مستوى تطبيق الاستراتيجيات التنافسية المتنوعة (مقاسة بعدد الصيغ التمويلية والاستثمارية المطبقة)، والمتغير التابع Y هو نسبة توظيف الودائع والتي تم احتسابها عن طريق:

نسبة توظيف الودائع:

الاستثمارات المطلقة + الاستثمارات المقيدة /

إجمالي الودائع

وتم إدخال البيانات المتعلقة بالمتغيرين في البرنامج الإحصائي SPSS، وبناءً على بيانات عينة البحث للمصارف الإسلامية العاملة في مملكة البحرين وعند إخضاعها للاختبار ظهرت النتائج الموضحة في الجدول الآتي:

اختبار الفرضيات ومناقشتها

أ. اختبار الفرضية الأولى: والتي تنص على: «لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة $(\alpha \leq 0.05)$ للاستراتيجيات التنافسية المطبقة (مقاسة بعدد الصيغ التمويلية والاستثمارية) على تقييم الاداء المالي (مقاساً بمعدل توظيف الودائع) للمصارف الإسلامية العاملة في مملكة البحرين»

الجدول (6) نتائج اختبار أثر تطبيق الاستراتيجيات التنافسية على تقييم الاداء المالي (مقاساً بمعدل توظيف الودائع)

للمصارف الإسلامية العاملة في مملكة البحرين⁽⁷⁵⁾

المتغير التابع	معامل الارتباط المعدل	R	معامل الارتباط	معامل التحديد	r ²	F المحسوبة	Sig F* مستوى الدلالة	البيان			
								المتغير المستقل	β	الخطأ المعياري	T المحسوبة
الأداء المالي	0.075	.285			0.081	12.243	.0010	الاستراتيجيات التنافسية المطبقة	0.285	0.010	3.499
											Sig t* مستوى الدلالة
											0.001

ونلاحظ من النتائج في الجدول أعلاه أن هناك أثر ذو دلالة إحصائية للاستراتيجيات التنافسية المطبقة (مقاسة بعدد الصيغ التمويلية والاستثمارية) على الأداء المالي (مقاساً بمعدل توظيف الودائع) للمصارف الإسلامية العاملة في مملكة البحرين، حيث كانت قيمة F المحسوبة هي (12.243) وبمستوى الدلالة (sig.=.0001) وهو أقل من 0.05، وتشير النتائج إلى أن متغير الاستراتيجيات التنافسية يفسر (%) من متغير الأداء المالي، وان معامل الارتباط بينهما (r=28.5%) يشير إلى وجود علاقة بين المتغيرات، كما أن معامل الانحدار ($\beta=0.285$) حيث كانت (t=3.499) وبمستوى دلالة (sig.=.001) وهو أقل من 0.05. وعليه نرفض الفرضية العدمية الاولى، ونقبل البديلة التي تنص على أنه:

«يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة $(\alpha \leq 0.05)$ للاستراتيجيات التنافسية المطبقة (مقاسة بعدد الصيغ التمويلية والاستثمارية) على تقييم الأداء المالي (مقاساً بمعدل توظيف الودائع) للمصارف الإسلامية العاملة في مملكة البحرين»

ب. اختبار الفرضية الثانية: والتي تنص على:

«لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة $(\alpha \leq 0.05)$ للاستراتيجيات التنافسية المطبقة (مقاسة بعدد الصيغ التمويلية والاستثمارية) على تقييم الأداء المالي (مقاساً بالعائد على الموجودات) للمصارف الإسلامية العاملة في مملكة البحرين».

لقد تم استخدام أسلوب تحليل الانحدار البسيط لاختبار فرضية البحث الثانية، والتي كان فيها المتغير المستقل X هو مستوى تطبيق الاستراتيجيات التنافسية (مقاسة بعدد الصيغ التمويلية والاستثمارية)، والمتغير التابع Y هو معدل العائد على الموجودات والتي تم احتسابها عن طريق: معدل العائد على الموجودات = صافي الربح بعد الضريبة/إجمالي الموجودات حيث تم ادخال البيانات المتعلقة بالمتغيرين في البرنامج الإحصائي SPSS، وبناءً على بيانات عينة البحث للمصارف الإسلامية العاملة في مملكة البحرين وعند إخضاعها للاختبار ظهرت النتائج في الجدول الآتي:

الجدول (7) نتائج اختبار أثر تطبيق الاستراتيجيات التنافسية على تقييم الاداء المالي (مقاساً بمعدل العائد على الموجودات)

للمصارف الإسلامية العاملة في مملكة البحرين⁽⁷⁶⁾

المتغير التابع	R معامل الارتباط	R معامل الارتباط	r2 معامل التحديد	F المحسوبة	Sig F* مستوى الدلالة	المتغير المستقل	β	T المحسوبة	Sig t* مستوى الدلالة
الأداء المالي	.021	.167	.028	3.972	.048	الاستراتيجيات التنافسية المطبقة	.167	1.993	.048

ونلاحظ من النتائج في الجدول أعلاه أن هناك أثر ذو دلالة إحصائية للاستراتيجيات التنافسية المطبقة (مقاسة بعدد الصيغ التمويلية والاستثمارية) على الأداء المالي المالي (مقاساً بمعدل العائد على الموجودات) للمصارف الإسلامية العاملة في مملكة البحرين (حيث كانت قيمة F المحسوبة هي (3.972) و بمستوى الدلالة (sig.= .048) وهو أقل من 0.05، وتشير النتائج إلى أن متغير الاستراتيجيات التنافسية يفسر (%) من متغير الأداء المالي، وأن معامل الارتباط بينهما ($r = 16.7\%$) يشير إلى وجود علاقة بين المتغيرات، كما أن معامل الانحدار ($\beta = 0.167$) حيث كانت ($t = 1.993$) وبمستوى دلالة (sig.= .048) وهو أقل من 0.05. وعليه نرفض الفرضية العدمية الثانية، ونقبل البديلة التي تنص على أنه:

ج. يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة $(\alpha \leq 0.05)$ للاستراتيجيات التنافسية المطبقة (مقاسة بعدد الصيغ التمويلية والاستثمارية) على تقييم الأداء المالي (مقاساً بالعائد على الموجودات) للمصارف الإسلامية العاملة في مملكة البحرين)

اختبار الفرضية الثالثة: والتي تنص على: «لا يوجد أثر ذو دلالة احصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) للاستراتيجيات التنافسية المطبقة (مقاسة بعدد الصيغ التمويلية والاستثمارية) على تقييم الأداء المالي (مقاساً بالإيرادات) للمصارف الإسلامية العاملة في مملكة البحرين».

لقد تم استخدام أسلوب تحليل الانحدار البسيط لاختبار فرضية البحث الثالثة، والتي كان فيها المتغير المستقل X هو مستوى تطبيق الاستراتيجيات التنافسية (مقاسة بعدد الصيغ التمويلية والاستثمارية)، والمتغير التابع Y هو الإيرادات، حيث تم ادخال البيانات المتعلقة بالمتغيرين في البرنامج الإحصائي SPSS، وبناءً على بيانات عينة البحث للمصارف الإسلامية العاملة في مملكة البحرين وعند إخضاعها للاختبار ظهرت النتائج الموضحة في الجدول الآتي:

الجدول (8) نتائج اختبار أثر تطبيق الاستراتيجيات التنافسية على تقييم الاداء المالي (مقاساً بالإيرادات) للمصارف الإسلامية العاملة في مملكة البحرين⁽⁷⁷⁾

المتغير التابع	R	R	r ² معامل التحديد	F المحسوبة	Sig F* مستوى الدلالة	المتغير المستقل	β	T	Sig t* مستوى الدلالة
الأداء المالي	.166	.415	.172	28.646	.000	الاستراتيجيات التنافسية المطبقة	.415	5.352	.000

يكون التأثير ذا دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$)

يشير إلى وجود علاقة بين المتغيرات، كما أن معامل الانحدار ($\beta=0.415$) حيث كانت ($t=5.352$) وبمستوى دلالة ($\text{sig.}=0.000$) وهو أقل من 0.05، وعليه نرفض الفرضية العدمية الثالثة، ونقبل البديلة التي تنص على أنه: يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) للاستراتيجيات التنافسية المطبقة (مقاسة بعدد الصيغ التمويلية والاستثمارية) على تقييم الأداء المالي (مقاساً بالإيرادات) للمصارف الإسلامية العاملة في مملكة البحرين.

ونلاحظ من النتائج في الجدول أعلاه ان هناك أثر ذو دلالة إحصائية للاستراتيجيات التنافسية المطبقة (مقاسة بعدد الصيغ التمويلية والاستثمارية) على الأداء المالي المالي (مقاساً بالإيرادات) للمصارف الإسلامية العاملة في مملكة البحرين، حيث كانت قيمة F المحسوبة هي (28.646) وبمستوى الدلالة ($\text{sig.}=0.000$) وهو أقل من 0.05، وتشير النتائج إلى ان متغير الاستراتيجيات التنافسية يفسر (%) من متغير الأداء المالي، وان معامل الارتباط بينهما ($r=41.5\%$)

المبحث الثالث: الاستنتاجات والتوصيات

الاستنتاجات

بناءً على ما تم استعراضه سابقاً واختبار الفرضيات تم التوصل إلى عدد من الاستنتاجات وهي كالآتي:

1. يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) للاستراتيجيات التنافسية المطبقة (مقاسة بعدد الصيغ التمويلية والاستثمارية) على تقييم الأداء المالي (مقاساً بمعدل توظيف الودائع) للمصارف الإسلامية العاملة في مملكة البحرين.
2. يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) للاستراتيجيات التنافسية المطبقة (مقاسة بعدد الصيغ التمويلية والاستثمارية) على تقييم الأداء المالي (مقاساً بالعائد على الموجودات) للمصارف الإسلامية العاملة في مملكة البحرين.
3. يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) للاستراتيجيات التنافسية المطبقة (مقاسة بعدد الصيغ التمويلية والاستثمارية) على تقييم الاداء المالي (مقاساً بالإيرادات) للمصارف الإسلامية العاملة في مملكة البحرين.
4. إن التميز الحقيقي في أعمال وأنشطة المصرف الإسلامي والمستندة إلى أحكام وضوابط الشريعة الإسلامية، في مجموعة الصيغ والعقود التمويلية والاستثمارية (المنتجات) المقدمة من قبله، والتي تعد العلامة الفارقة الجوهرية، وهي نقطة القوة التي من خلالها توسعت وانتشرت الصناعة المالية الإسلامية في أرجاء العالم، والذي يعزز نقطة القوة تلك هو التنوع والابتكار والإبداع في الصيغ والعقود (المنتجات) المقدمة لتلبية احتياجات المجتمع المالي ويزيد قيمة حقيقية للعميل، ومن الممكن أن يكون التمييز في ابتكار أو تطوير خدمة ومنتج أو في طريقة وأسلوب التقديم، مع الالتزام بتطبيق المعايير ذات العلاقة.
5. إن أهمية الميزة التنافسية للمصارف الإسلامية تتبلور في الحصول على ثقة الأطراف التي تتعامل معها تلك المصارف والمستفيدين من خدماتها ومنتجاتها، سواء كانوا أفراداً أم مؤسسات خاصة أو حكومية محلية أو دولية، وبالحصول على ثقتهم سترتفع حصة المصرف الإسلامي السوقية ويتفوق على منافسيه، وبالتالي يحقق أهدافه الاقتصادية والتنموية والاجتماعية ويعود النفع على جميع الأطراف، وأن المصارف الإسلامية تحقق ميزتها التنافسية وذلك بالتزامها بتطبيق المعايير الصادرة عن الهيئات المتخصصة في الصناعة المصرفية الإسلامية، لتتمكن من تقديم منتجات وخدمات لعملائها ذات جودة عالية وبأساليب واضحة وبتقنيات مبتكرة، وبهذا تزداد قدرتها التنافسية وتتفوق على المنافسين كلما زادت ثقة العملاء بما تقدمه لهم، وإدراكهم أن ما يحصلون عليه من منافع يفوق ما يتحملونه من أعباء.

التوصيات

بناءً على النتائج والاستنتاجات التي تم التوصل إليها
نوصي المصارف الإسلامية بمراعاة مايلي:

1- السعي لاختيار الاستراتيجية التنافسية التي
تلائمها في ظل الظروف الحالية، مع إمكانية تغيير
الاستراتيجية أو اختيار أكثر من واحدة بما يتلائم
وإمكاناتها، مع دراسة وتحليل التغيرات في البيئة
المحيطة بها، وبهذا تضمن حصولها على وضع تنافسي
قوي ومستدام مبني على أساس علمي مدروس.

2- إن الاستراتيجية التي يتم تبنيها لا بد أن تستند على
دراسات جدوى حول المنافسين الحاليين والمتوقع
دخولهم للسوق سواء كان نشاط المصرف الإسلامي
محلياً أو دولياً، ولا بد من مراعاة تقديم الخدمات
والمنتجات التي تدعم التنمية الاقتصادية في المجتمع
الذي يعمل فيه، وبالتالي يزيد من ثقة الأطراف ذات
العلاقة.

3- الاستفادة من مؤشرات ومعايير الأداء المالي لقياس
ومتابعة وتقويم الأداء بصورة مستمرة بغية الوصول إلى
مراكز متقدمة في المنافسة على المستويين المحلي
العالمي.

4- إن التميز الذي ترمي إليه لا بد أن يكون حقيقياً
واضحاً في كافة أنشطتها وخدماتها ومنتجاتها وأن
يضيف قيمة حقيقية للعميل، ومن الممكن أن يكون
التميز في ابتكار أو تطوير خدمة ومنتج أو في طريقة
وأسلوب التقديم، مع الالتزام بتطبيق المعايير ذات
العلاقة، مع السعي للحصول على ميزة تنافسية، أن
يكون لديه تنوع وتوزيع لمجال أنشطته، وذلك لخدمة
أكبر عدد من الأطراف ذات العلاقة، مع مراعاة
عدم التمييز بين فئات المجتمع، وبهذا تزداد حصته
السوقية ويتفوق على منافسيه ويحصل على ميزة
تنافسية شمولية مستدامة.

الملاحق

ملحق رقم (1) استمارة الاستقصاء تبين الصيغ التمويلية والاستثمارية المطبقة في المصارف الإسلامية عينة البحث

عدد الصيغ	صكوك	صناديق مدارة	الاستثمار	السلم	وكالة	اجارة	استثمار مشروع مشترك	مشاركات	عقارية	استثمارات	مربحة	مضاربة	الصيغة /المصرف
													بنك البركة
													البحرين الإسلامي
													الاثمار
													السلام
													الخليجي التجاري
													بيت التمويل الكويتي
													مجموعة البركة المصرفية
													بنك ابدار
													بنك فينشر كابيتال
													بنك الخير
													بنك دار الاستثمار
													بنك الاستثمار الدولي
													بنك ستي الاستثماري
													مصرف الطاقة الأول
													بنك الشراكة التركي-الكويتي
													بيت التمويل الخليجي
													بنك سيرة
													المصرف العالمي
													ABC-إسلامي
													مركز إدارة السيولة

المراجع والهوامش

- 1 - خليل، مرسى نبيل، 2000، الميزة التنافسية في مجال الأعمال، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، ص 87.
- 2 - الخضري، محسن أحمد 2004، صناعة المزايا التنافسية، ط1، القاهرة: مجموعة النيل العربية. ص 216.
- 3 - خليل، مرسى نبيل، 2000، الميزة التنافسية في مجال الأعمال، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، ص 92.
- 4- Benjamin Yen(2002)"Electronic commerce fornt-end in apparel supply.
- 5 - الخضري، محسن أحمد 2004، صناعة المزايا التنافسية، ط1، القاهرة: مجموعة النيل العربية. ص 216.
- 6- عبد المتعال، محمد سيد أحمد والطحان، عماد، 2015، أساسيات التفكير المنطقي والبحث العلمي، القاهرة: مكتبة عباد الرحمن للطباعة والنشر.
- 7 - اسماعيل، شاكر تركي (2007) التسويق المصرفي الإلكتروني، والميزة التنافسية للمصارف الأردنية، المؤتمر العلمي الخامس: نحو مناخ استثماري وأعمال مصرفية إلكترونية، كلية العلوم الإدارية والمالية، جامعة فيلادلفيا، الأردن. ص 10.
- 8 - ثابت، عادل (2008) الإدارة المعاصرة، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، ص 211.
- 9 -البواب، جابر يحيى على، 2018 دور استشراف المستقبل في العمل الإداري دراسة تحليلية نظرية، المؤتمر العلمي الأول للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الأندلس.
- 10 - إعداد الباحثان
- 11- Porter Micheal E, (1980). »competitive strategy: Techniques for analyzing industries and competitors»، the free press. p37.
- 12 - الوليد، هلالى. (2009). الأسس العامة لبناء المزايا التنافسية ودورها في خلق القيمة: دراسة حالة الشركة الجزائرية للهاتف النقال MOBILIS. جامعة محمد بوضياف. رسالة ماجستير غير منشورة، ص 54.
- 13 - طحطوح، مسعود (2009)، «أهمية التسويق في تعزيز الميزة التنافسية للمؤسسة: دراسة حالة في المؤسسة الاقتصادية»، رسالة ماجستير في العلوم الاقتصادية والتسيير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ص 38.
- 14 - بن حبتور عبد العزيز صالح، «الإدارة الاستراتيجية: إدارة جديدة في عالم متغير»، ط1، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2004، ص 229.
- 15 - الكردي، أحمد. (2010)، الميزة التنافسية لإدارة الموارد البشرية الاستراتيجية. موقع كنانة أون لاين، تم الاسترجاع من: <http://kenanaonline.com/users/ahmedkordy/tags/101139/downloads/-20-8-2018>
- 16 - قوراري مريم، (2012). إدارة الإبداع وتأثيرها على الميزة التنافسية على المؤسسات، دراسة حالة المؤسسة الوطنية للأفرشة المغربية بتمسان، رسالة ماجستير (غير منشورة)، تخصص حوكمة الشركات، جامعة تلمسان، ص 118.
- 17- Porter Michael E, (2008). "On competition: Adapted and expanded edition", Harvard Business Review Book.p80.
- 18 - العبادي، سناء عبد الرحيم والعتيبي، تاغي زيدان (2014). «تأثير عناصر النجاح الحرجة في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة، بحث ميداني لآراء نخبة من المدراء في شركة المعتمص للمقاولات ال إنشائية»، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، المجلد 20، العدد 80.
- 19- Jay Barney, 1991, firm resources and sustained competitive advantage. Journal of management, Vol. 17, No1.p101.
- 20- Anders Drejer, 2000 organizational learning and competence development. The learning organization, Vol. 7, No4, p.208.
- 21 - عباد، إبراهيم عبد الحليم، 2008، «مؤشرات الأداء في البنوك الإسلامية»، دار النفائس، ط1، عمان، الأردن.
- 22 - قلعوي، غسان، 1998، «المصارف الإسلامية، ضرورة عصرية، لماذا وكيف؟»، دار المكتبي، بيروت، لبنان.
- 23 -الصياح، عبد الستار، 1998، «كفاءة إدارة التدفقات النقدية»، مجلة آفاق اقتصادية، ع79، ص 109، الإمارات العربية المتحدة.
- 24 - عباد، إبراهيم عبد الحليم، 2008، «مؤشرات الأداء في البنوك الإسلامية»، دار النفائس، ط1، عمان-الأردن.
- 25 - Don. R. Hansen, MaryannE. M. Mowen, Liming Guan, 2009 -cost management: accounting & control, 6eme edition, South- western p377.
- 26 - حردان، طاهر حيدر، 1999 الاقتصاد الإسلامي، المال، الربا، الزكاة. ط1، عمان، دار وائل للنشر، ص 84.

- 27- صقر، محمد أحمد، الاقتصاد الإسلامي: مفاهيم ومركزات. بحوث المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي، ص 58.
- 28 - بلخي، حسن عمر، الثمن العدل في الإسلام، المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي، ص 145.
- 29 - سورة الأعراف، 4.
- 30 - رواه الحاكم في المستدرک 2/ 58، والبيهقي 6/ 69 والدارقطني 2/ 77، ورواه مالك في الموطأ 2/ 115 عن عمرو بن يحيى عن أبيه مرسلاً، ورواه أحمد 1/ 313، وابن ماجه 2/ 784 (2341) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه أحمد 5/ 326، وابن ماجه 2/ 784 (2340) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، كما جاء من حديث غيرهم رضي الله عنهم وله طرق يتقوى بها، ولذلك قال النووي في الحديث الثاني والثلاثين من الأربعين: حديث حسن له طرق يقوى بعضها بعضاً، وحسنه ابن الصلاح (خلاصة البدر المنير 2/ 438، جامع العلوم والحكم 1/ 304)، وقال العلائي: للحديث شواهد تنتهي بمجموعها إلى درجة الصحة أو الحسن المحتج به (فيض القدير للمناوي 6/ 432)، وقال الحاكم في المستدرک 2/ 66: حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه، وصححه الألباني في إرواء الغليل (888)، والسلسلة الصحيحة 250.
- 31- Paul Dobson, Kenneth Starkey, John Richards, 2004 -strategic management: issues and cases. Blackwell Publishing. p56.
- 32- John Lawrence Daly, 2002 pricing for profitability: activity- based pricing for competitive advantage. John Wiley, p.48.
- 33 - بوشناف، عمار 2002، «الميزة التنافسية في المؤسسة الاقتصادية: مصادرها، تميمتها، وتطويرها»، رسالة ماجستير فرع علوم التسيير، جامعة الجزائر، ص 68.
- 34 - مصطفى، أحمد سيد، 2001، «التغيير كمدخل لتعزيز القدرة التنافسية للمنظمات العربية»، دار الكتب للنشر، القاهرة، مصر، ص 36.
- 35 - Bhatia B. R. Prakash Ved, strategic management. Annual Publication PVT.LTD, 2005, p. 275.
- 36- Jack Trout, Steve Rivkin, (1999). The power of simplicity: a management guide to cutting through the nonsense and doing things right. McGraw- Hill. P 52.
- 37- خليل، نبيل مرسى، 2003، «الإدارة الاستراتيجية: تكوين وتنفيذ استراتيجيات التنافس»، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ص 121.
- 38- Michael E. Porter, (1980). competitive strategy: Techniques for analyzing industries and competitors, p.37.
- 39- George B. Moseley, (2009). Managing health care business strategy. Jones & Bartlett Publishers, p.213.
- 40 - الوادي، محمود حسين، 2010، إدارة الجودة الشاملة في الخدمات المصرفية الإسلامية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص 31.
- 41 - أحمد، أحمد محمود، (2001)، تسويق الخدمات المصرفية- مدخل نظري تطبيقي، ط1، دار البركة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ص 103.
- 42- Paul Dobson, Kenneth Starkey, John Richards, (2004). strategic management: issues and cases. Blackwell Publishing. p79.
- 43- Hitt Michael A, Ireland R Duane, Hoskisson Robert E, (2009). “strategic management- concepts, and cases: competitiveness and globalization”, 8th edition, South- Western, p.115.
- 44 - خليل، نبيل مرسى (2003). «الإدارة الاستراتيجية: تكوين وتنفيذ استراتيجيات التنافس»، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ص 121.
- 45- Margaret A, Peteraf, the cornerstones of competitive advantage: a resource- based view. strategic management Journal, Vol. 14, 1993, p.180. -بتصرف-
- 46- Ross, Brennan, Louise, Canning & Mc Dowell, 2007 business- to- business marketing. SAGE publications Ltd, 2007, p.101.
- 47- Triant G. Flouris, Sharon L. Oswald, designing and executing strategy in aviation management. Ashgate Publishing Limited, 2006 - p.35. - بتصرف -
- 48- Raisch Sebastian, “Dynamic strategic analysis: demystifying simple success strategies”, Dissertation Universitat Genf, 2004, p. 53.
- 49- Richard L Daft, organization theory and design. Tenth Edition, South- Western CENGAGE Learning, 2009, p.72.

- 50 - عبد المطلب عبد الحميد (2015)، «التسويق المصرفي»، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، ص47.
- 51- London David L Stevens Robert, Wrenn Bruce “marketing management: text and cases”, Best Business books, p 78.
- 52- Kotler , P. (2000), Marketning Management, 10 th edition, Prentice Hall, New York. p.262.
- 53- Nambisan, Satich et al, (2015), “Entrepreneurship and Open Innovation”, Strategic Entrepreneurship Journal, May 15.
- 54 - قوراري مريم، (2012). إدارة الإبداع وتأثيرها على الميزة التنافسية على المؤسسات، دراسة حالة المؤسسة الوطنية للأفرشة المغربية بتلمسان، رسالة ماجستير (غير منشورة)، تخصص حوكمة الشركات، جامعة تلمسان، ص 118.
- 55- London David L., Stevens Robert, Wrenn Bruce, “marketing management: text and cases”, Best Business books, p79.
- 56- Philip J. Kitchen, Tony Proctor, the informed student guide to marketing. Thomson Learning, 2001-p.150.
- 57- Jim Blythe, Alan. S. Zimmerman, business- to- business marketing management: a global perspective. Thomson Learning, 2005, p41.
- 58- Philip J. Kitchen, Tony Proctor, op. Cit, p. 151.
- 59- Azhar Kazami, strategic management & business policy. Third Edition, Tata Mc Graw-Hill, 2008, p157.
- 60- Richard M. S. Wilson, Colin Gilligan, strategic marketing management: planning, implementation & control. Third edition, Elsevier Butterworth-Heinemann, 2005, p. 461.
- 61- George J. Avlonitis, Paulina Papastathopoulou, 2006 product & services management. SAGE publications .Ltd, p. 59.
- 62- Norton Paley, the manager’s guide to competitive marketing strategies. Third Edition, Thorogood, 2005, p.25.
- 63- Wilson-Richard. M.S. & Gilligan, Colin, Strategic Marketing Management: planning implementation & control, 3th ed, Boston: Butterworth-Heineman , 2005 , OP.Cit . P. 520.
- 64- Graeme Drummond, John Ensor, 2005 -introduction to marketing concepts- p. 201.
- 65 - إعداد الباحثان استناداً إلى معلومات مصرف البحرين المركزي والتقارير المالية السنوية للمصارف الإسلامية عينة البحث.
- 66 - ملحق رقم 1/ استمارة الاستقصاء تبين الصيغ التمويلية والاستثمارية المطبقة في المصارف الإسلامية عينة البحث.
- 67 - من إعداد الباحثان باستخدام استمارة الاستقصاء وبرنامج SPSS.
- 68 - من إعداد الباحثان باستخدام برنامج SPSS.
- 69 - من إعداد الباحثان باستخدام استمارة الاستقصاء وبرنامج SPSS.
- 70 - من إعداد الباحثان باستخدام برنامج SPSS.
- 71 - من إعداد الباحثان باستخدام برنامج SPSS.
- 72 - من إعداد الباحثان باستخدام برنامج SPSS.
- 73 - من إعداد الباحثان باستخدام برنامج SPSS.
- 74 - من إعداد الباحثان باستخدام برنامج SPSS.
- 75 - من إعداد الباحثان باستخدام برنامج SPSS، استناداً إلى القوائم المالية للمصارف الإسلامية عينة البحث.
- 76 - من إعداد الباحثان باستخدام برنامج SPSS، استناداً إلى القوائم المالية للمصارف الإسلامية عينة البحث.
- 77 - من إعداد الباحثان باستخدام برنامج SPSS، استناداً إلى القوائم المالية للمصارف الإسلامية عينة البحث.

الذكاء الانفعالي لدى الطلبة الجامعيين

(دراسة وصفية مقارنة على عينة من طلبة جامعة الجزائر 2)

د. حسيبة برزوان - الجزائر

تخصص علم النفس العيادي والإرشاد والصحة النفسية
أستاذة بجامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله
مسؤولة ماستر في علم النفس المدرسي



ملخص

إنّ الحالات الانفعالية الإيجابية لدى الطالب الجامعي تجعله أكثر توافقاً مع محيطه الاجتماعي والدراسي. وبالتالي القدرة على ضبط الذات والتجاوب الإيجابي مع انفعالات الآخرين ما هي إلا دليل على الذكاء الانفعالي لديه. وقد دفعنا الاهتمام بمتغير الذكاء الانفعالي لدى الطالب الجامعي، نظراً لأهميته في الحياة الدراسية لهذا الأخير، خاصة في مرحلة ما بعد التدرج، من أجل تحقيق ذاته وطموحه. للتحقق من فرضيات الدراسة قمنا باختيار المنهج الوصفي المقارن، وشملت عينة الدراسة 30 فرداً، وقد تم تطبيق مقياس الذكاء الانفعالي من إعداد (عثمان ورزق، 2001). توصلت نتائج الدراسة إلى ما يلي: لدى الطلبة الجامعيين ذكاء انفعالي فوق المتوسط. وقد جاء ترتيب أبعاد الذكاء الانفعالي بحسب الأولوية لدى الطلبة الجامعيين كالتالي: إدارة الانفعالات - التعاطف - التنظيم الانفعالي - المعرفة الانفعالية - التواصل الاجتماعي.

كما توجد فروق في أبعاد الذكاء الانفعالي ما عدا بعد إدارة الانفعالات لدى الطلبة الجامعيين بحسب متغير الجنس لصالح الذكور. أما من حيث التخصص فقد توصلت نتائج الدراسة إلى عدم وجود فروق دالة إحصائياً بين التخصصات الأكاديمية المختلفة في الذكاء الانفعالي. وفي الأخير إلى مجموعة من الاقتراحات تخدم الدراسة الحالية.

الكلمات الدالة: الذكاء الانفعالي، الطلبة الجامعيون.

Emotional Intelligence among University Students
(A Comparative Study conducted on a Sample of University of Algiers Students 2)

abstract

The positive emotional states of the university student makes him more adjusted to his social and academic environment because of his ability to self-control himself and his positive response to the emotions of others.

Therefore emotional intelligence can be an important moderator variable between the striving of students in order to succeed and their ability to reach and fulfill their ambitions.

To test the hypotheses of the study, we chose a descriptive and comparative type of study. The emotional intelligence scale of Othman and Rizk, 2001 was applied using a sample of 30 students.

The main findings of the study were:

- The level of emotional intelligence of the students was above average.
- The decreasing ranking of the different emotional intelligence dimensions according their importance was as follows: Emotional management - empathy - emotional regulation - emotional knowledge - social communication.
- No significant differences between males and females in the dimensions of emotional intelligence were found except for the management of emotions dimension with males scoring higher in that dimension.
- No significant differences regarding the dimensions of the emotional intelligence scale were found between the academic disciplines.

Key words: Emotional intelligence; university students

مقدمة

يعتبر الذكاء كما يشير (أبو عمشة، 2013) عاملاً مهماً ومؤثراً على الحياة الأكاديمية والاجتماعية والوجدانية للفرد، والذكاء باعتباره قدرة عامة كان أول مكونات الإنسان القابلة للدراسة، وذلك من خلال ممارسة الفرد للذكاء في صوره المتعددة، والتي شكلت للعلماء الأوائل النقاط الأولى في دراسة الذكاء بشكله العام، وإن مكانة الذكاء في علم النفس وسيطرته على جزء من اهتمامات علماء النفس ودراساتهم، جعلته القدرة الحقيقية على تطوير الفرد وإنشائه لأفضل المجتمعات (عن مجذوب أحمد محمد أحمد قمر، 2016، ص 163).

ويؤكد منسي (2002) أن التحديات التي يعيشها الإنسان والطبيعة الإنسانية متأثرة بالعواطف فمشاعرنا تؤثر في كل كبيرة وصغيرة في حياتنا أكثر من تأثير التفكير، وذلك عندما يتعلق الأمر بمصيرنا وأفعالنا، ويؤكد أيضاً أن المشاعر ضرورية والتفكير مهم للمشاعر إذا تجاوزت المشاعر ذروة التوازن، فالعقل العاطفي في هذه الحالة يتغلب على الموقف ويكتسح العقل المنطقي على اعتبار أن هناك عقليين أحدهما عاطفي والآخر منطقي (عن مصطفى، رشاد مصطفى الأسطل، 2010).

من بين أنواع الذكاء كما يشير (السمادوني 2001 والبلوي 2004) يعتبر الشخصي من المتغيرات وثيقة الصلة بالذكاء الوجداني بل يعتبر أحد مكوناته الأساسية، وقد أشار فؤاد أبو حطب إلى مشكلة العلاقة بين القدرات العقلية كموضوع ينتمي تقليدياً لميدان المعرفة وبين سمات الشخصية باعتبارها تنتمي إلى الوجدان، وقدم تصنيفاً لأنواع الذكاء يتضمن ثلاث فئات هي الذكاء المعرفي والذكاء الاجتماعي والذكاء الوجداني. كما توصل (Tosi & Wu, 2000) إلى وجود علاقة ارتباطية بين أبعاد الذكاء الشخصي المتمثلة في الوعي بالذات واختبار الذات والتكيف مع الذات وتقدير

الذات وهي أبعاد متضمنة في الذكاء الوجداني وأبعاد التوافق المدرسي لدى التلاميذ في كل من مدارس الموهوبين والمدارس النظامية (أحمد، على بديوي محمد، 2011، ص 432).

تتعدى أهمية الذكاء الانفعالي من نجاح الفرد إلى سعادته، لأنها تجعله في علاقة مع ما هو إنساني بداخله. واستنتج (Joseph, Chibat) من كندا أن الحالات الانفعالية للتلاميذ عندما تكون إيجابية مثل ضبط النزوات، التفاؤل، الأمل، الضحك، تؤدي إلى ارتفاع أداء التلميذ والنجاح يكون أكثر ضماناً. وفي حالة ما تكون حالته سلبية مثل الحصر، التشاؤم والهموم تؤدي إلى انخفاض الأداء وبالتالي الفشل الدراسي (Dominique, Houssonlog, 2012, p 4-5).

1- مشكلة الدراسة

بحسب جولمان (Goleman, 1999) الذكاء الانفعالي ينقسم إلى خمسة عوامل والمتمثلة في الوعي بالذات، وإدارة الانفعالات، والتعاطف، والمهارات الاجتماعية، ودافعية الذات أي حفز الذات بمعنى أن الذكاء الانفعالي يؤثر بقوة وعمق في كافة القدرات الأخرى إيجاباً أو سلباً؛ لأن حالة الفرد الانفعالية تؤثر في قدراته العقلية وأدائه بشكل عام.

يرى أبراهام (Abraham, 2000) بأن الذكاء الانفعالي هو مجموعة من المهارات التي تعزى إليها الدقة في تقدير الذات وتصحيح مشاعر الذات واكتشاف الملامح الانفعالية للآخرين واستخدامها، لأجل الدافعية والإنجاز في حياة الفرد (عن عبد العظيم، سليمان المصدر، 2008، ص 596-597).

لقد ظهرت الكثير من الاستفسارات كما يشير فراج (2005) التي دعت إلى أهمية الربط بين الجانب المعرفي والجانب العاطفي، وهي أنك قد تجد شخصاً نسبة ذكائه العقلي مرتفعة ولكنه غير ناجح في حياته، وشخصاً آخر نسبة ذكائه متوسطة، ولكنه ناجح في حياته، وقد نجد أيضاً مجموعة

أشخاص متساوين في نسبة الذكاء العقلي ولكن معدلات أدائهم غير متساوية، وكل هذا دفع علماء النفس إلى البحث عن عنصر أو مجال جديد لم تتم دراسته ألا وهو الذكاء العاطفي (عن مصطفى، رشاد مصطفى الأسطل، 2010).

الذكاء الانفعالي بحسب (باتريك وآخرون، 2010) هو ذلك الكم المعقد من السلوكيات، والقدرات، والسمات، والمعتقدات، والقيم التي تساعد شخصاً ما على إدراك ذاته ورؤيته ومهمته بنجاح، وذلك بمعرفة بيئة هذا الاختيار. ويمكن للفرد أن يميز بصورة إضافية بين الذكاء داخل الشخص، الذي يحدد الحالات المزاجية والمشاعر والحالات العقلية الأخرى لدى الفرد، والطريقة التي تؤثر بها على سلوكنا، وكيفية إدارة تلك الحالات المزاجية، وعلى التحفيز الذاتي وغيرها، وبين الذكاء بين الأشخاص، وإدراك العواطف لدى الآخرين، واستخدام هذه المعلومة بوصفها مرشداً سلوكياً لبناء العلاقات والحفاظ عليها (الخيري، إبراهيم صفيه، 2013، ص 26 - 27).

هناك العديد من نتائج الدراسات السابقة الوصفية المقارنة حول الذكاء الانفعالي سواء من حيث الجنس أو التخصصات. ومن بين هذه النتائج ما توصلت إليه دراسة سعيد سرور (2003) التي أقيمت على عينة حجمها (526 طالباً وطالبة) أن هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية بين الطلاب ذوي مستويات الذكاء الانفعالي المختلفة في مهارات مواجهة الضغوط، كما تبين أن دلالة الفروق لصالح الطلاب ذوي مستوى الذكاء الانفعالي المرتفع (عن عبد العظيم، سليمان المصدر، 2008، ص 608).

تشير دراسة (Mayer, 2000) إلى أهمية بناء وتحسين مستوى الذكاء الوجداني لدى الطلاب المراهقين لأن ذلك له تأثيره على الإنجاز والدافعية والتحصيل الدراسي ومن ثم تحقيق الذات. وقد اختلفت نتائج الدراسات التي تناولت الفروق بين الجنسين في الذكاء الانفعالي فبعضها في اتجاه

الذكور والآخر في اتجاه الإناث. أما الدراسات التي تشير إلى أن الإناث حصلن على درجات مرتفعة في مقياس الذكاء الوجداني فهي الأكثر بالمقارنة بالذكور وهذا يتطلب دراسة الفروق بين الجنسين في الذكاء الوجداني. كما توصلت دراسة محمد جودة 1999 إلى أنه وجود فروق بين الجنسين في أبعاد الذكاء الانفعالي. بينما أشارت دراسات (بار، أون 1997) و(عبد العالي عوجة، 2002) و(عبد المنعم الدردير، 2002) إلى عدم وجود فروق بين متوسطات درجات الذكور والإناث في الدرجة الكلية للذكاء الانفعالي (أحمد، على بديوي محمد، 2011، ص 437).

قام (محسن عبد النبي، 2001) بدراسة هدفت إلى الكشف عن الفروق بين التخصصات الأكاديمية المختلفة في كل من الذكاء الانفعالي والتفكير الابتكاري والتحصيل الدراسي. وأجريت الدراسة على عينة مكونة من 200 طالبة من كلية التربية. وخلصت الدراسة إلى عدم وجود فروق دالة إحصائية بين طالبات التخصصات الأكاديمية المختلفة في كل من الذكاء الانفعالي ومكوناته، والتفكير الابتكاري والتحصيل الدراسي (إسماعيل صالح الفرا وزهير عبد الحميد النواجحة، 2012، ص 69).

كما قامت (Nélis, Charlotte) بدراسة كانت تهدف إلى دراسة تأثير الذكاء الانفعالي والشعور بالفاعلية الذاتية الأكاديمية على عينة تقدر بـ 110 أفراد (98 إناثاً و12 ذكوراً). وقد بينت النتائج بأنه وجود علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية ما بين الذكاء الانفعالي والشعور بالفاعلية الذاتية (Nélis, Charlotte, 2016).

وعليه قمنا بطرح التساؤلات التالية:

- هل لدى الطلبة الجامعيين ذكاء انفعالي مرتفع أو متوسط؟
- كيف تظهر أبعاد الذكاء الانفعالي بحسب الأولوية لدى الطلبة الجامعيين؟

- هل توجد فروق في أبعاد الذكاء الانفعالي الخمسة لدى الطلبة الجامعيين بحسب متغير الجنس؟
- هل توجد فروق في أبعاد الذكاء الانفعالي الخمسة لدى الطلبة الجامعيين بحسب متغير التخصص؟

2- فرضيات الدراسة

- لدى الطلبة الجامعيين ذكاء انفعالي فوق المتوسط.
- تظهر أبعاد الذكاء الانفعالي بحسب الأولوية لدى الطلبة الجامعيين كالتالي: إدارة الانفعالات، التعاطف، التنظيم الانفعالي، المعرفة الانفعالية، التواصل الاجتماعي.
- توجد فروق في أبعاد الذكاء الانفعالي الخمسة لدى الطلبة الجامعيين بحسب متغير الجنس.
- توجد فروق في أبعاد الذكاء الانفعالي الخمسة لدى الطلبة الجامعيين بحسب متغير التخصص.

3. أهمية وأهداف الدراسة

انطلاقاً من الاحتكاك مع الطلبة الجامعيين، لاحظ الباحثان أن هناك اختلافاً ما بين الطلبة في مواجهة المواقف الدراسية، ويرجع الباحثان هذا الاختلاف في التعامل إلى الفروق المختلفة في المهارات المكتسبة في كيفية تسيير الانفعالات وتنظيمها مما يؤثر على العلاقات مع الآخرين.

كما أن للذكاء الانفعالي بمختلف أبعاده والمتمثلة في بعد إدارة الانفعالات وبعد التعاطف وبعد التنظيم الانفعالي وبعد المعرفة الانفعالية وبعد التواصل الاجتماعي، أهمية كبيرة في الحياة الدراسية لدى الطالب الجامعي خاصة في مرحلة ما بعد التدرج، من أجل تحقيق ذاته وطموحه. وهذا ما دفعنا إلى الاهتمام بمتغير الذكاء الانفعالي لدى الطالب الجامعي.

وبالتالي تكمن أهداف هذه الدراسة الوصفية في محاولة معرفة مستوى الذكاء الانفعالي وكذلك التحقق من كيفية ظهور أبعاد الذكاء الانفعالي بحسب الأولوية لدى الطلبة الجامعيين. والاطلاع إذا ما كانت هناك فروق بين أبعاد الذكاء الانفعالي بحسب متغير الجنس ومتغير التخصص لدى الطلبة الجامعيين ما بعد التدرج أفراد عينة البحث.

4- مفاهيم الدراسة وتعريفاتها الإجرائية

الذكاء الانفعالي

هو مجموعة ردود أفعال ينتهجها الطالب الجامعي في حياته اليومية، والتي تنقسم إلى عدة أبعاد (إدارة الانفعالات-التعاطف-التنظيم الانفعالي-المعرفة الانفعالية-التواصل الاجتماعي) من خلال مقياس الذكاء الانفعالي المعد من طرف (عثمان ورزق، 2001)، والتي تكشف عنها في هذه الدراسة.

الطلبة الجامعيون

هم الطلبة الجامعيون ذكوراً وإناثاً، والذين يكونون في مرحلة ما بعد التدرج (ماستر ودكتوراه)، من مختلف تخصصات علم النفس من جامعة الجزائر 2.

5. تعريف الذكاء الانفعالي

الذكاء الوجداني أو الذكاء الانفعالي يسمح بتحديد وتسيير الانفعالات لاستعمالها إيجابياً. قدرة الفرد في تطوير ذكائه الانفعالي تتمثل في إمكانيته في السيطرة على رغباته وتأجيلها، والمحافظة على توازنه الانفعالي، وتعاطفه وحفاظه على العلاقات المتناغمة مع الآخرين. وأن تكون لديه دافعية ومثابرة رغم كل الصعوبات التي يواجهها (Dominique, Houssonlog, 2012, p. 2).

6- الإجراءات المنهجية للدراسة

عينة البحث

منهج الدراسة

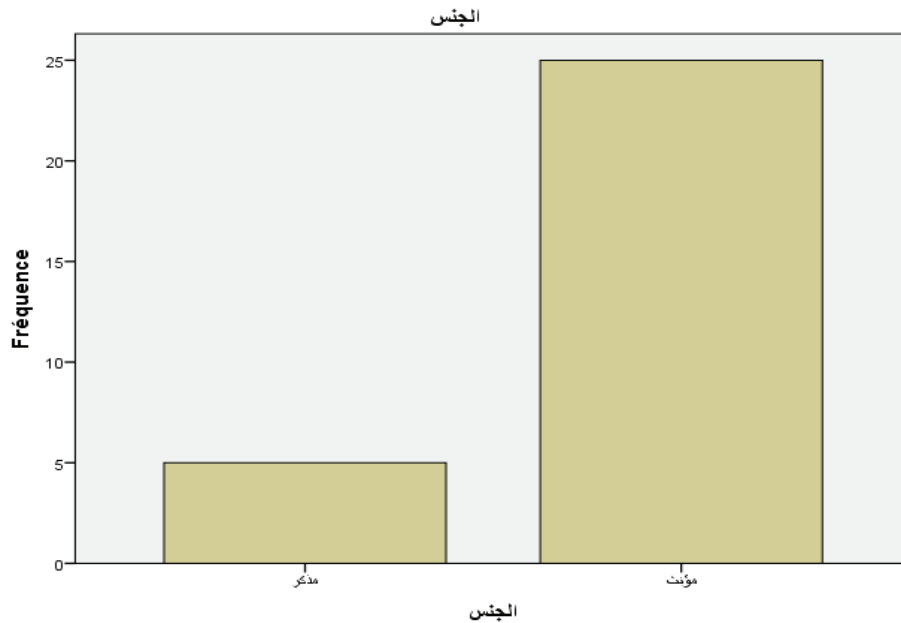
تكونت عينة الدراسة من 30 طالباً جامعياً ما بعد التدرج (16 طالباً من مستوى الثانية ماستر و14 طالباً من مستوى الأولى دكتوراه) من جامعة الجزائر 2، من مختلف التخصصات. تم اختيارها بطريقة قصدية، ومن شروط اختيارها أن يقبلوا المشاركة في الدراسة، وركزنا على الذكاء الوجداني، ومن بين خصائص الطلبة الجامعيين أفراد عينة البحث ما يلي:

نظراً لطبيعة الدراسة، قمنا باختيار المنهج الوصفي المقارن، لتحديد مستوى الذكاء الانفعالي، وكيف تظهر أبعاده بحسب الأولوية لدى الطلبة الجامعيين. والبحث إذا ما كانت هناك فروق بين أبعاد الذكاء الانفعالي بحسب متغير الجنس ومتغير التخصص.

جدول (1): توزيع الطلبة الجامعيين أفراد العينة بحسب الجنس

متغيرات	العدد	%
مذكر	5	16,7
مؤنث	25	83,3
المجموع	30	100,0

يبين الجدول (1) أن أغلبية أفراد عينة البحث إناث حيث بلغت النسبة المئوية 83,3 %، أما فئة الذكور فقد بلغت 16,7 % وهي فئة أقل مقارنة مع الإناث، وهذا راجع إلى أن نسبة الطلبة الجامعيين خاصة العلوم الاجتماعية أغلبهم إناث.

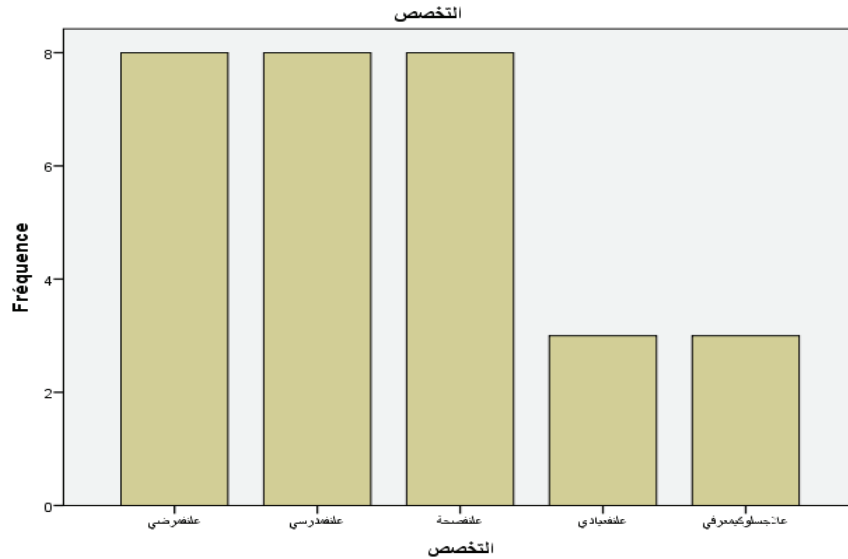


شكل رقم (1): رسم بياني يبين توزيع الطلبة الجامعيين أفراد العينة بحسب الجنس

جدول (2): توزيع الطلبة الجامعيين أفراد العينة بحسب التخصص

التخصص		
متغيرات	العدد	%
عنف مرضي	8	26,7
عنف مدرسي	8	26,7
عنف صحة	8	26,7
عنف عيادي	3	10,0
علاج سلوكي معرفي	3	10,0
المجموع	30	100,0

يبين الجدول (2) أن التخصصات الثلاثة والمتمثلة بعلم النفس المرضي وعلم النفس المدرسي وعلم النفس الصحة جاءت بنسب متساوية، حيث بلغت النسبة المئوية لكل تخصص 26,7 %. أما التخصصان الآخران المتمثلان بعلم النفس العيادي والعلاج السلوكي المعرفي قدرت النسبة المئوية لكل تخصص بـ 10 %.



شكل رقم (2): رسم بياني يبين توزيع الطلبة الجامعيين أفراد العينة بحسب التخصص

أدوات الدراسة

مقياس الذكاء الانفعالي: هو من إعداد (عثمان ورزق، 2001)، ويتكون المقياس من 58 بنداً يتم الإجابة عليها وفقاً لمتدرج خماسي من خمسة بدائل وهي: (غالباً، كثيراً، أحياناً، قليلاً، نادراً). ولقد تم صياغة جميع عبارات المقياس بطريقة إيجابية ما عدا العبارات رقم (36 51 56).

وتصحح العبارات الإيجابية كالتالي: أبدأ = 1، نادراً = 2، أحياناً = 3، غالباً = 4، دائماً = 5 بينما العبارات السالبة بالعكس، بهذا تتراوح الدرجة الكلية للمقياس بين (58: 290 درجة)، وتتوزع بنود المقياس على خمسة أبعاد أساسية وهي: إدارة الانفعالات ويشمل 15 بنداً، التعاطف ويشمل 11 بنداً، تنظيم الانفعالات ويشمل 13 بنداً، المعرفة الانفعالية ويشمل 10 بنود، التواصل الاجتماعي ويشمل 9 بنود. والجدول الموالي يوضح أبعاد الذكاء الانفعالي:

الجدول رقم (3): أبعاد الذكاء الانفعالي

أرقام العبارات	العبارات	أبعاد الذكاء الانفعالي
56 53 50 31 28 26 18 17 16 13 12 11 9 6 4	15	إدارة الانفعالات
57 55 54 44 41 40 38 37 35 34 33	11	التعاطف
58 32 30 29 27 25 24 23 22 21 20 19 15	13	تنظيم الانفعالات
51 49 14 10 8 7 5 3 2 1	10	المعرفة الانفعالية
52 48 47 46 45 43 42 39 36	09	التواصل الاجتماعي

يتمتع المقياس بخصائص سيكومترية مرتفعة في البيئة الأصلية (المصرية) حيث بلغ معامل الثبات لبعـد إدارة الانفعالات 0,55؛ بعد التعاطف 0,77؛ بعد تنظيم الانفعالات 0,64؛ بعد المعرفة الانفعالية 0,49؛ بعد التواصل الاجتماعي 0,58؛ أما بالنسبة للدرجة الكلية 0,81 (مرضى بنت محمد بن محمد القاسم، 2011).

4- مجال إجراء الدراسة

أجريت الدراسة في كلية العلوم الاجتماعية (جامعة الجزائر 2). وقد تم القيام بالجانب الميداني للدراسة في جوان من عام 2017.

5- المعالجة الإحصائية

من أجل تحليل بيانات البحث والإجابة على الأسئلة المقترحة تمّت الاستعانة بحزمة البرنامج الإحصائي في العلوم الاجتماعية SPSS، وذلك بالاعتماد على الأساليب الإحصائية التالية:

- التكرارات والنسب المئوية لوصف وترتيب وتصنيف خصائص العيّنة.
- استخراج مقاييس النّزعة المركزيّة والتشتّت، بحيث تمّ حساب المتوسط الحسابي لمعرفة مدى تماثل أو اعتدال صفات أفراد العيّنة وكذا حساب الانحراف المعياري لمعرفة طبيعة توزيع أفراد العيّنة ومدى انسجامها. وتحديد متوسطات درجات أفراد العينة المحصل عليها في مقياس الذكاء الوجداني في المتغيرات الواردة في أسئلة الدراسة.
- اختبار Friedman لترتيب متوسطات درجات الاستراتيجيات الثمان واختبار ك² لدلالة الفروق بين الرتب بغرض تحديد نمط استراتيجيات التعامل لديهم.
- اختبار «ت» لدراسة الفروق ما بين مجموعتين (ذكور – إناث)
- اختبار (Anova) لدراسة الفروق ما بين خمس مجموعات (التخصصات الخمسة).

7- **عرض وتفسير وتحليل نتائج الدراسة:** نعرض نتائج الدراسة ونفسرها وفقاً للفرضيات التي تم عرضها في مشكلة الدراسة،

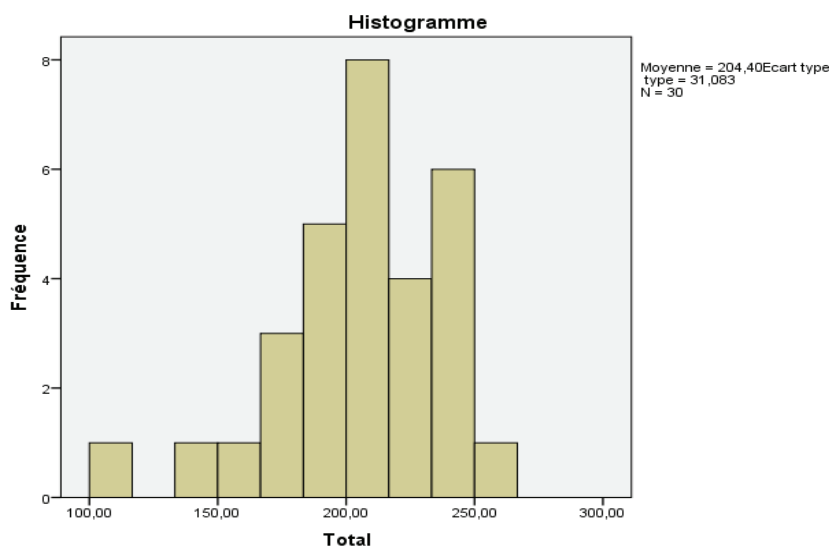
الفرضية الأولى: لدى الطلبة الجامعيين مستوى ذكاء انفعالي فوق المتوسط

جدول (4): مستوى الذكاء الانفعالي للطلبة الجامعيين

المتوسط الافتراضي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	
174	31,08	204,40	30	الذكاء الوجداني

نلاحظ من خلال الجدول الموالي أن متوسط الذكاء الوجداني للطلبة الجامعيين ما بعد التدرج قدر بـ 204,40 بانحراف معياري قدره 31,08، وهو أكبر بمتوسط النظري للمقياس الذي يساوي 174 وعليه يبدي الطلبة ذكاء وجدانياً فوق المتوسط.

شكل رقم (2): رسم بياني يبين توزيع الطلبة الجامعيين أفراد العينة بحسب التخصص



الفرضية الثانية: تظهر أبعاد الذكاء الانفعالي بحسب الأولوية لدى الطلبة الجامعيين، كالتالي:

إدارة الانفعالات - التعاطف - التنظيم الانفعالي - المعرفة الانفعالية - التواصل الاجتماعي.

الجدول (5): نتائج اختبار Friedman لأبعاد الذكاء الانفعالي

أبعاد الذكاء الانفعالي	المتوسط الترتيبي	الترتيب	X ²	درجة الحرية	الدلالة الإحصائية
إدارة الانفعالات	4,60	1	87,14	4	دال إحصائياً عند α 0,01
التعاطف	3,07	3			
التنظيم الانفعالي	4,00	2			
المعرفة الانفعالية	1,73	4			
التواصل الاجتماعي	1,60	5			

يتبين من خلال الجدول (5) ترتيب أبعاد تظهر أبعاد الذكاء الانفعالي لدى الطلبة بحسب اختبار Friedman، والذي قدر بـ 87,14 وهو يدل على وجود دلالة لترتيبها عند المستوى (0,01)، فنجد:

- في المرتبة الأولى إدارة الانفعالات بمتوسط ترتيبي بلغ (4,60)،
- يليها في المرتبة الثانية التنظيم الانفعالي بمتوسط ترتيبي قدر بـ (4,00)،
- ونجد في المرتبة الثالثة التعاطف بمتوسط ترتيبي قدر بـ (3,07)،
- تليه في المرتبة الرابعة المعرفة الانفعالية بمتوسط ترتيبي قدر بـ (1,73)،
- أما في المرتبة الخامسة التواصل الاجتماعي بمتوسط ترتيبي قدر بـ (1,60).

الفرضية الثالثة: توجد فروق في أبعاد الذكاء الانفعالي الخمسة لدى الطلبة الجامعيين بحسب متغير الجنس بعد أن تم التأكد من أن التوزيع طبيعي تم استخدام اختبار (T) وجاءت النتائج كالتالي:

1/ فروق في إدارة الانفعالات تعزى لمتغير الجنس:

الجدول (6): نتائج اختبار «ت» لتحديد الفروق بين الجنسين في بعد إدارة الانفعالات

	الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة «ت»	قيمة «فا»	الدلالة الإحصائية
إدارة الانفعالات	مذكر	05	56,2000	14,99000	1,379	4.599	دال إحصائياً عند α 00,5
	مؤنث	25	49,6800	8,43465	,943		

بين الجدول رقم (6) أن هناك فروقاً بين الجنسين في مستوى إدارة الانفعالات، بحيث: قدر المتوسط الحسابي لدى أفراد عينة البحث الذكور في مستوى إدارة الانفعالات بـ 56,20 بانحراف معياري 14,99. وقدر المتوسط الحسابي لدى أفراد عينة البحث الإناث بـ 49,68 بانحراف معياري 8,43. وجاءت قيمة «فا» = 4,59 دالة عند 00,5 أي لا يوجد تجانس بين المجموعتين لذلك سوف نتعامل مع تا لمجموعتين مستقلتين. وقد بلغت قيمة «ت» 0,94 والتي جاءت دالة عند 00,5. أي توجد فروق في إدارة الانفعالات تعزى لمتغير الجنس، ويمكن تفسير هذا أن الذكور هم أكثر ضبطاً لانفعالاتهم من الإناث.

2/ فروق في التعاطف تعزى لمتغير الجنس

	الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة «ت»	قيمة «فا»	الدلالة الإحصائية
التعاطف	مذكر	05	41,8000	3,70135	,128	2,487	غير دال
	مؤنث	25	41,2800	8,79640	,215		

الجدول (7): نتائج اختبار «ت» لتحديد الفروق بين الجنسين في بعد التعاطف

يبين الجدول رقم (7) أن ليس هناك فروق بين الجنسين في مستوى التعاطف، بحيث قدّر المتوسط الحسابي لدى أفراد عينة البحث الذكور في مستوى التعاطف بـ 41,80 بانحراف معياري 3,70. وقدّر المتوسط الحسابي لدى أفراد عينة البحث الإناث بـ 41,28 بانحراف معياري 8,79. وجاءت قيمة «فا» = 2,48 غير دالة أي يوجد تجانس بين المجموعتين لذلك سوف نتعامل مع تا لمجموعتين مستقلتين. وقد بلغت قيمة «ت» 0,12 والتي جاءت غير دالة. أي ليس هناك فروق دالة إحصائية في بعد التعاطف بين الذكور والإناث.

3/ فروق في تنظيم الانفعالات تعزى لمتغير الجنس:

	الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة «ت»	قيمة «فا»	الدلالة الإحصائية
تنظيم الانفعالات	مذكر	05	52,2000	9,78264	1,741	,372	غير دال
	مؤنث	25	45,4000	7,62671	1,468		

الجدول (8): نتائج اختبار «ت» لتحديد الفروق بين الجنسين في بعد تنظيم الانفعالات

يبين الجدول رقم (8) أن ليس هناك فروق بين الجنسين في مستوى تنظيم الانفعالات، بحيث قدّر المتوسط الحسابي لدى أفراد عينة البحث الذكور في مستوى تنظيم الانفعالات بـ 52,20 بانحراف معياري 9,78. وقدّر المتوسط الحسابي لدى أفراد عينة البحث الإناث بـ 45,40 بانحراف معياري 7,62. وجاءت قيمة «فا» = 0,37 غير دالة أي يوجد تجانس بين المجموعتين لذلك سوف نتعامل مع تا لمجموعتين مستقلتين. وقد بلغت قيمة «ت» 1,74 والتي جاءت غير دالة. أي ليس هناك فروق دالة إحصائية في بعد تنظيم الانفعالات بين الذكور والإناث.

4/ فروق في المعرفة الانفعالية تعزى لمتغير الجنس:

الجدول (9): نتائج اختبار «ت» لتحديد الفروق بين الجنسين في بعد المعرفة الانفعالية

	الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة «ت»	قيمة «فا»	الدلالة الإحصائية
المعرفة الانفعالية	مذكر	05	35,2000	4,20714	1,024	,009	غير دال
	مؤنث	25	32,7200	5,05404	1,161		

يبين الجدول رقم (9) أن ليس هناك فروق بين الجنسين في مستوى المعرفة الانفعالية، بحيث: قدّر المتوسط الحسابي لدى أفراد عينة البحث الذكور في مستوى المعرفة الانفعالية بـ 35,20 بانحراف معياري 4,20. وقدّر المتوسط الحسابي لدى أفراد عينة البحث الإناث بـ 32,72 بانحراف معياري 5,05. وجاءت قيمة «فا» = 0,92 غير دالة أي لا يوجد تجانس بين المجموعتين لذلك سوف نتعامل مع تا لمجموعتين مستقلتين. وقد بلغت قيمة «ت» 1,02 والتي جاءت غير دالة. أي ليس هناك فروق دالة إحصائية في بعد المعرفة الانفعالية بين الذكور والإناث.

5/ فروق في التواصل الاجتماعي تعزى لمتغير الجنس:

الدلالة الإحصائية	قيمة «فا»	قيمة «ت»	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	الجنس	
غير دال	167,	685,	6,54217	34,4000	05	مذكر	التواصل
		655,	6,14220	32,3200	25	مؤنث	الاجتماعي

الجدول (10): نتائج اختبار «ت» لتحديد الفروق بين الجنسين في بعد التواصل الاجتماعي

يبين الجدول رقم (10) أن ليس هناك فروق بين الجنسين في مستوى التواصل الاجتماعي، بحيث قدّر المتوسط الحسابي لدى أفراد عينة البحث الذكور في مستوى التواصل الاجتماعي بـ 34,40 بانحراف معياري 6,54. وقدّر المتوسط الحسابي لدى أفراد عينة البحث الإناث بـ 32,32 بانحراف معياري 6,14. وجاءت قيمة «فا» 0,16 غير دالة أي يوجد تجانس بين المجموعتين لذلك سوف نتعامل مع تا لمجموعتين مستقلتين. وقد بلغت قيمة «ت» 0,68 والتي جاءت غير دالة. أي ليس هناك فروق دالة إحصائية في بعد التواصل الاجتماعي بين الذكور والإناث.

الفرضية الرابعة: توجد فروق في أبعاد الذكاء الانفعالي الخمسة لدى الطلبة الجامعيين بحسب متغير التخصص

الجدول (11): نتائج اختبار «فا» لتحديد الفروق في أبعاد الذكاء الانفعالي الخمسة لدى الطلبة الجامعيين بحسب متغير التخصص

جدول ANOVA: يوضح دلالة الفروق في درجات أبعاد الذكاء الانفعالي بحسب التخصص						
الدلالة الإحصائية	قيمة «فا»	متوسط المربعات	ddl	مجموع المربعات		
غير دال	0,10	11,612	4	46,450	ما بين المجموعات	إدارة الانفعالات
			25	2736,917	داخل المجموعات	
			29	2783,367	المجموع	
غير دال	1,90	111,481	4	445,925	ما بين المجموعات	التعاطف
		58,682	25	1467,042	داخل المجموعات	
			29	1912,967	المجموع	
غير دال	0,46	34,315	4	137,258	ما بين المجموعات	التنظيم الانفعالي
		73,368	25	1834,208	داخل المجموعات	
			29	1971,467	المجموع	
غير دال	1,68	37,627	4	150,508	ما بين المجموعات	المعرفة الانفعالية
		22,358	25	558,958	داخل المجموعات	
			29	709,467	المجموع	
غير دال	0,66	26,177	4	104,708	ما بين المجموعات	التواصل الاجتماعي
		39,598	25	989,958	داخل المجموعات	
			29	1094,667	المجموع	

نلاحظ من خلال الجدول الموالي ما يلي:

- إدارة الانفعالات: بلغت قيمة «فا» 0,10، وبما أن $Sig = 0,97$ جاءت أكبر من 0,05 وبالتالي فهي غير دالة.
- التعاطف: بلغت قيمة «فا» 1,90، وبما أن $Sig = 0,14$ جاءت أكبر من 0,05 وبالتالي فهي غير دالة.
- التنظيم الانفعالي: بلغت قيمة «فا» 0,46، وبما أن $Sig = 0,75$ جاءت أكبر من 0,05 وبالتالي فهي غير دالة.
- المعرفة الانفعالية: بلغت قيمة «فا» 1,68، وبما أن $Sig = 0,18$ جاءت أكبر من 0,05 وبالتالي فهي غير دالة.
- التواصل الاجتماعي: بلغت قيمة «فا» 0,66، وبما أن $Sig = 0,62$ جاءت أكبر من 0,05 وبالتالي فهي غير دالة.

بما أن الفروق في متغير التخصص لكل الأبعاد الخمسة جاءت غير دالة، ترفض الفرضية. وبالتالي ليس هناك فروق ما بين كل من بعد إدارة الانفعالات وبعد التعاطف وبعد التنظيم الانفعالي وبعد المعرفة الانفعالية وبعد التواصل الاجتماعي بحسب متغير التخصص.

6- خلاصة

بينت نتائج الدراسة بأن الطلبة الجامعيين فيما بعد التدرج يبدون ذكاء انفعالياً فوق المتوسط. وقد جاء ترتيب أبعاد الذكاء الانفعالي بحسب الأولوية لدى الطلبة الجامعيين كالتالي: إدارة الانفعالات - التعاطف - التنظيم الانفعالي - المعرفة الانفعالية - التواصل الاجتماعي.

يتضح لنا من خلال نتائج الفرضية الأولى والثانية بأن الارتقاء في درجات الذكاء الانفعالي ما هو إلا دليل على قدرة الطالب على إدراك انفعالاته وانفعالات الآخرين وحسن إدارتها، وبالتالي النجاح في العلاقات الاجتماعية من خلال سهولة التواصل الاجتماعي.

وهذا ما يتفق مع ما توصلت إليه بعض الدراسات مثل دراسة (باتريك وآخرون، 2010) بأن الذكاء الانفعالي هو ذلك الكم المعقد من السلوكيات، والقدرات، والسمات، والمعتقدات، والقيم التي تساعد شخصاً ما على إدراك ذاته ورؤيته ومهمته بنجاح، وذلك بمعرفة بيئة هذا الاختيار. ويمكن للفرد أن يميز بصورة إضافية بين الذكاء داخل الشخص، الذي يحدد الحالات المزاجية والمشاعر والحالات العقلية الأخرى لدى الفرد، والطريقة التي تؤثر بها على سلوكنا، وكيفية إدارة تلك الحالات المزاجية، وعلى التحفيز الذاتي وغيرها، وبين الذكاء بين الأشخاص، وإدراك العواطف لدى الآخرين، واستخدام هذه المعلومة بوصفها مرشداً سلوكياً لبناء العلاقات والحفاظ عليها (عن الخيري إبراهيم صفيه، 2013).

كما تكمن أهمية الذكاء الانفعالي للطلاب في فعالية ذاته الأكاديمية، وهذا ما توصلت إليه نتائج

دراسة (Nélis, Charlotte, 2016) بأنه توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية ما بين الذكاء الانفعالي والشعور بالفاعلية الذاتية الأكاديمية.

كما توصلت نتائج الدراسة الحالية الخاصة بالفرضية الثالثة إلى أن هناك فروقاً في أبعاد الذكاء الانفعالي تعزى لمتغير الجنس ما عدا بعد إدارة الانفعالات. وهذا ما أكدته نتائج بعض الدراسات مثل دراسة سعيد سرور (2003) التي أقيمت على عينة حجمها (526 طالباً وطالبة) بأن هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية بين الطلاب ذوي مستويات الذكاء الوجداني المختلفة في مهارات مواجهة الضغوط، كما تبين أن دلالة الفروق لصالح الطلاب ذوي مستوى الذكاء الوجداني المرتفع (عن عبد العظيم سليمان المصدر، 2008).

كما توصلت دراسة محمد جودة (1999) إلى أنه توجد فروق بين الجنسين في أبعاد الذكاء الوجداني (عن أحمد، على بديوي محمد، 2011).

إذن لقد اتفقت نتائج دراستنا الخاصة بالفرضية الثالثة مع نتائج الدراسات السابقة ما عدا بعداً واحداً متمثلاً في إدارة الانفعالات، بحيث الفروق جاءت دالة إحصائياً وهذا يدل على أن الذكور هم أكثر ضبطاً لانفعالاتهم من الإناث.

كما أكدت نتائج دراسة (محسن عبد النبي، 2001) نتائج الفرضية الرابعة للدراسة الحالية والمتمثلة في عدم وجود فروق دالة إحصائية بين التخصصات الأكاديمية المختلفة في كل من الذكاء الانفعالي ومكوناته، والتفكير الابتكاري والتحصيل الدراسي (عن إسماعيل صالح الفرا وزهير عبد الحميد النواجحة، 2012).

وما يبرز أهمية الذكاء الانفعالي هو ما يكتسبه الطالب من السلوكيات الإيجابية وهذا ما أكدته (باتريك وآخرون، 2010) بأنه كلما اكتسب الطالب العديد من السلوكيات الإيجابية أدى إلى تطوير في درجة الذكاء

ونظراً لأهمية الذكاء الانفعالي في سير الحياة الاجتماعية والدراسية، ومن خلال النتائج المتحصل عليها في هذه الدراسة، نقترح تدريب الطلبة على استراتيجيات التعامل وخاصة فنيات التواصل لما لها من دور في تطوير القدرة على الإدراك الذاتي؟ كما أن تدريب الطلبة على التأويل الإيجابي لسلوكياتهم سوف يسهل لهم العلاقات مع الآخر التي هي ضرورية في الوسط الجامعي.

كما نقترح توسيع عينة الدراسة، وربط متغير الذكاء الانفعالي بمتغيرات أخرى لكي تكون النتائج أكثر وزناً ودقة لهدف إثراء الأدب السيكلوجي.

الانفعالي لديه. كما أن فهم الآخر من خلال التأويل الإيجابي لسلوكياته لا يسهل لنا العلاقات معه فقط بل يؤدي إلى إنسانية العلاقات الإنسانية التي هي ضرورية في الوسط الجامعي. وهذا ما يشير إليه (Phaneuf, Margot, 2007) بأنه إذا كان الفرد قادراً على فهم الآخر قبل الحكم السلبي عليه معناه أنه في طريق أسنة العلاقات الإنسانية.

بالإضافة إلى أن الحالات الانفعالية للتلاميذ عندما تكون إيجابية مثل ضبط النزوات، التفاؤل، الأمل، الضحك، تؤدي إلى ارتفاع أداء التلميذ والنجاح يكون أكثر ضماناً كما توصل إليه (Joseph Chibat) من خلال دراسته على عينة من التلاميذ في كندا (in Houssonlog, Dominique, 2012).

المراجع

1. الأسطل، مصطفى رشاد مصطفى. (2010). الذكاء العاطفي وعلاقته بمهارات مواجهة الضغوط لدى طلبة كليات التربية بجامعة غزة، رسالة الماجستير تخصص إرشاد نفسي، تحت إشراف النفعي، عابد بن عبد الله. بالجامعة الإسلامية بكلية التربية قسم علم النفس.
2. بديوي، أحمد على محمد. (2011). أثر برنامج إثرائي في تنمية مهارات الذكاء الوجداني لدى عينة من المتفوقين دراسياً في المرحلة العمرية (15 12) في ضوء نموذج دانيال جولمان (Daniel Goleman). المجلد السابع عشر. العدد الثاني. جامعة حلوان.
3. حسين، عبد العظيم طه وحسين، عبد العظيم سلامة. (2006). استراتيجيات إدارة الضغوط التربوية والنفسية، ط 1، دار الفكر العربي، عمان.
4. الصيرفي، محمد. (2008). الضغط والقلق الإداري، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية.
5. الفراء، إسماعيل صالح والنواجحة، زهير عبد الحميد. (2012). الذكاء الوجداني وعلاقته بجودة الحياة والتحصيل الأكاديمي لدى الدارسين بجامعة القدس المفتوحة بمنطقة خان يونس التعليمية، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد 14، العدد 2، ص 57 - 90.
6. القاسم، مرضى بنت محمد بن محمد. (2011). الذكاء الوجداني وعلاقته بكل من السعادة الأمل لدى عينة من طالبات جامعة أم القرى، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس تخصص نمونفسي، تحت إشراف محمد وفائي / علاوي سعيد الحلو. جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.
7. قمر، مجذوب أحمد محمد أحمد. (2016). الصحة النفسية والذكاء الوجداني وعلاقتهما ببعض المتغيرات (دراسة على عينة من طلبة كلية مزوي التقنية)، مجلة العلوم النفسية والتربوية. جامعة دنقلا، السودان. 2 (1) مارس. ص 161-183.
8. المصدر، عبد العظيم سليمان. (2008). الذكاء الانفعالي وعلاقته ببعض المتغيرات الانفعالية لدى طلبة الجامعة. مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد السادس عشر، العدد الأول. جامعة الأزهر، فلسطين. ص 587-632.
9. مجلي، شايع عبد الله. (2011). الأفكار اللاعقلانية وعلاقتها بالضغوط النفسية لدى طلبة كلية التربية بصعده، جامعة عمران، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، ملحق ص 212.
10. Houssonlog, Dominique. (2012). L'intelligence émotionnelle, une des clés de la réussite scolaire. Analyse UFAPEC. Avec le soutien du Ministère de la Fédération Wallonie-Bruxelles. N°03.12 P.P. 1 - 6. Tiré du site.
11. Phaneuf, Margot. (décembre, 2007). Apprendre à travailler dans un contexte relationnel difficile. Révision octobre, 2012. Tiré du site.
12. Nélis, Charlotte. (2016). L'intelligence émotionnelle et le sentiment d'efficacité personnelle influencent-ils les performances à un test chez les adultes en formation? Master en psychologie dirigée par Faulx, Daniel. Université de liège, Belgique.
13. URL permanente.

الاتساق النحوي

دراسة تطبيقية تحليلية في قصيدة :

(البكاء بين يدي زرقاء اليمامة)

لأمل دنقل

د. بسمة رضا الحلاهمة - السعودية

أستاذ مساعد، تخصص: لغة عربية/دراسات لغوية (نحو وصرف)
جامعة تبوك/كلية التربية والآداب/قسم اللغة العربية

Grammar Consistency

An applied analytical study in the poem

(albuka' bayna yaday zaraqa' alyammah)

for Amal Dunkol

Abstract

This study aims at applying the elements of the grammatical consistency to the poem (albuka' bayna yaday zaraqa' alyammah) for Amal Dunkol according to the descriptive analytical approach. these elements are; Assignment (assignment by pronouns, by relatives and by comparison) conjunction, deletion and replacement.

This study will prove the effective effect of these elements in the formation of the formal bond in the linguistic fabric that extends on the surface of the text from its beginning to its end , thus achieving the continuity property and reveals in principle the semantic relations within the text.

Key words: The assignment, deletion, replacement, conjunction.

الملخص باللغة العربية

تهدف الدراسة إلى تطبيق عناصر الاتساق النحوي على قصيدة (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) لأمل دنقل، اعتماداً على المنهج الوصفي التحليلي، وهذه العناصر هي: (الإحالة بالضمائر والإحالة بالموصول والإحالة بالمقارنة)، والوصل والحذف والاستبدال، وسوف تثبت الدراسة الأثر الفاعل لهذه العناصر في إحداث الترابط الشكلي في النسيج اللغوي الممتد على سطح النص من بدايته إلى نهايته مما يحقق خاصية الاستمرارية ويكشف بصورة مبدئية عن العلاقات الدلالية داخل النص. الكلمات المفتاحية: الإحالة، الحذف، الاستبدال، الوصل.

المقدمة

هل استطاع الشاعر من خلال دراسة هذه العناصر الاتساقية أن ينجح في تقديم رؤية مبدئية عن مقاصده الدلالية؟

أما أهمية الدراسة فتكمن في الجانب التطبيقي منها، وهو قدرة العناصر الاتساقية على تحقيق التماسك الشكلي للقصيدة من ناحية وتقديم تصور مبدئي عن رؤية الشاعر ومقاصده من ناحية أخرى من خلال العلاقات التركيبية الداخلية على امتداد مساحة القصيدة.

وبناءً على أهداف الدراسة وأهميتها كان اختيار المنهج الوصفي التحليلي هو المنهج المتبع، إذ عمدت الدراسة إلى تطبيق العناصر الاتساقية النحوية التي ارتبط اختيارها بوجود نماذج شعرية دالة من القصيدة، وبعد قراءة متمعنة للقصيدة تم اختيار العناصر الاتساقية التي ستتم دراستها من حيث المفهوم والتطبيق، وهذه العناصر هي: الإحالة وتشمل (الإحالة بالضمائر، الإحالة بالموصل والإحالة بالمقارنة)، الوصل، الحذف، والاستبدال.

المبحث الأول: الاتساق النحوي (تمهيد)

إنّ التماسك النصي من أهم محاور علم لغة النص، فهو المنهج الحكم الذي يمنح النص نصانيته، فأى نص يجدر به أن يكون متماسكاً على المستوى النحوي ومتربطاً على المستوى الدلالي وإلا انتفت عنه نصانيته⁽²⁾.

والتماسك النصي يقسم إلى قسمين: التماسك الشكلي الذي يهتم بالعلاقات الشكلية التي تحقق التماسك الشكلي للنص، والتماسك الدلالي الذي يهتم بالعلاقات الدلالية بين أجزاء النص من ناحية وبين ما يحيط به من سياقات مختلفة من ناحية أخرى⁽³⁾.

يعتبر نحو الجملة الأساس الذي ينطلق منه نحو النص؛ لبناء نظرية جديدة في تحليل النصوص، وهذا التطور في الدرس اللساني لا يعني التخلي عن نحو الجملة فالتراث النحوي يعدّ المنبث الأول الذي تبنى عليه الاتجاهات النصية، وعلم لغة النص لا يلغي أهمية الجملة في الدراسات النصية، بل يجعلها جزءاً من مكونات النص، «حيث حصل نوع من الإجماع على ضرورة التغيير وفق منهجية لا تغفل الجملة، لكنها بالمقابل تعدّها أكبر وحدة قابلة للتحليل اللساني بل تنظر إليها من زاوية علاقتها ببقية الجمل الأخرى المكوّنة للنص، إضافة إلى علاقتها بالسياق الذي أنتجت فيه وبمنتجها وبمستقبلها»⁽¹⁾، فالترابط النحوي يتحقق بدراسة (نحو النص) كله من بدايته إلى نهايته.

وفي ضوء علم اللغة النصي برز مفهومان مهمان هما الاتساق والانسجام، وقد اشتمل كل منهما على وسائل اتساقية تؤدي إلى تحقيق التماسك النصي على المستوى الشكلي السطحي والمستوى المقامي (الخارجي) للنص.

وكان موضوع هذه الدراسة هو أحد محاور الاتساق، وهو الاتساق النحوي، وهي بعنوان: الاتساق النحوي، دراسة تطبيقية تحليلية في قصيدة (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) لأمل دنقل، وتهدف هذه الدراسة إلى تطبيق عناصر الاتساق النحوي على القصيدة وبيان دورها في إحداث التماسك النصي.

وكان من ضمن أهداف الدراسة الإجابة عن بعض التساؤلات المتعلقة ببعض القضايا في الجانب التطبيقي منها:

هل تشكل ندرة النماذج الشعرية على الإحالة بالموصل والإحالة بالمقارنة خلافاً في اتساق النص وتماسكه؟

(2) يُنظر عمر أبو خرمة، نقد النظرية، د.ط، الأردن، عالم الكتاب، 2004، ص 76.

(3) صبحي إبراهيم الفقي، علم لغة النص بين النظرية والتطبيق، ط 1، دراسة تطبيقية على السور المكية، القاهرة، دار قباء، 2000، 1/97.

(1) نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، ط 1، الأردن عالم الكتب، 2009، ص 140.

وعليه فإن التماسك النصي يرتبط بمفهومين يعملان معاً على تجسيد الترابط إما على مستوى ظاهر النص أو على مستوى باطن النص، فالأول يُسمى الاتساق أما الثاني فيطلق عليه مصطلح الانسجام.

والمحور الذي يهتم الدراسة هو الاتساق وقد عرفه محمد خطابي بأنه «التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص أو خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكوّنة لجزء من الخطاب أو الخطاب برمته، ومن أجل وصف اتساق النص أو الخطاب يسلك المحلل أو الواصف طريقة خطية متدرجاً من بداية الخطاب حتى نهايته»⁽⁴⁾، فآليات الاتساق تعمل على تحقيق التماسك الشكلي لعناصر الخطاب مما يجعله لحة واحدة متماسكة الأجزاء ومترابطة المكونات من خلال علاقات الترابط اللفظية «وهي تلك العلاقات النصية الرابطة أو الواصلة بين وحدات النصوص عبر الوسائل الخطية أو القرائن اللفظية»⁽⁵⁾.

ويشمل مفهوم الاتساق عدداً من العناصر كالإحالات والحذف والاستبدال والوصل والاتساق المعجمي⁽⁶⁾.

وقد تناولت هذه الدراسة الاتساق النحوي دون الاتساق المعجمي، وتطبيق آلياته على قصيدة (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) بهدف إظهار التماسك الشكلي للنص والذي يمثل خطوة مهمة في تشييد بنية النص الكلية.

وقبل الخوض في مباحث الدراسة ومطالبها أرغب أن أضع نبذة عن القصيدة بين يدي القارئ؛ ليكون على تواصل مستمر مع حيثيات الدراسة.

إن القصيدة تمثل إضاءة شعرية في المتن الشعري لأمل دنقل كتبت في مرحلة الاحتقان السياسي والاجتماعي في ظل الصراع العربي الصهيوني، فالشاعر من خلالها لا يقدم ترجمة حرفية للواقع المعيش في نكسة 1967، لكنه يقدم

لوحة فنية حية يقصد بها الوصول للتأثير المنشور حول فظاعة النكسة وأسبابها متخذاً من (زرقاء اليمامة) رمزاً حياً للمثقفين والمفكرين الأحرار الذين حذروا من أسباب النكسة قبل أن تقع فلم يستمع إليهم أحد والحقيقة أن هذه القصيدة تم نشرها بعد النكسة مباشرة في مصر والعالم العربي ففهمها الناس وتجاوبوا معها.⁽⁷⁾

وكانت هذه النكسة ذريعة للشاعر كي يسيل لسانه ويعبر عن موقفه إزاء الحكم الناصري، ففي ذروة الآلام والأحزان من هذه النكسة كتب الشاعر قصيدته (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) التي كانت عنواناً لديوانه الأول⁽⁸⁾، وقد مثلت القصيدة نموذجاً لتوظيف التراث التاريخي عن طريق استحضار الماضي للتعبير عن الوقعة الراهنة المتشعبة بثوب الهزيمة، فكما هو معروف عن زرقاء اليمامة أنها كانت ترى الأشياء على بعد ثلاثة أيام فكان يضرب بها المثل في حدة البصر، وقد نبهت قومها إلى أن حسان بن تبع الحميري جاء غازياً، وقد استخدم جنوده حيلة حمل الأشجار، لكنهم لم يصدقوها فحلت بهم الكارثة إذ داهمهم جيش حسان فأبادهم، وجاء بالزرقاء وفقاً عينيها⁽⁹⁾.

وبعد قراءة عميقة متمعة في القصيدة وقع الاختيار على عناصر الاتساق النحوي التي سيتم تطبيقها على القصيدة في هذه الدراسة، وهذه العناصر هي الإحالة وتشمل: (الإحالة بالضمائر، والإحالة بالموصول، والإحالة بالمقارنة)، ولا بد من التنويه إلى أنني لم أعتز على آلية الإحالة بالإشارة في القصيدة.

- الحذف.

- الوصل.

- الاستبدال.

(7) سواعدي عائشة، جماليات التناس في شعر أمل دنقل ديوان «البكاء بين يدي زرقاء اليمامة» أنموذجاً (رسالة ماجستير) جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، ص 65-66.

(8) عبد العزيز المقالح، أمل دنقل وأنشودة البساطة، مجلة إبداع القاهرة، العدد العاشر، السنة الأولى 1983، ص 22.

(9) يُنظر تفاصيل القصة في: محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك / نسخة المطبعة الحسينية 38-39/2.

(4) محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل الانسجام الخطاب، ط 1، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1991، ص 5.

(5) أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ط 1، مصر، القاهرة، دار الآفاق العربية، 2014، ص 64.

(6) محمد خطابي، لسانيات النص، ص 15.

المبحث الثاني: الإحالة

تعدُّ الإحالة من العناصر الفعّالة في دراسة النص، فهي «وسيلة اتساق قوية لأنها تصنع ربطاً قوياً معنوياً وتماسكاً دلالياً ملحوظاً، يؤدي إلى التماسك النصي»⁽¹⁰⁾، والإحالة هي إحدى العلاقات الموجودة في النص التي تقع بين العبارات والأحداث والمواقف، فقد عرّفها جون لاينز بأنها «العلاقة بين الكلمات وبين الأشياء والأحداث والأفعال والصفات التي تشير إليها»⁽¹¹⁾، وبتعبير آخر له هي «العلاقة بين الأسماء والمسميات»⁽¹²⁾، ويرى محمد خطابي «أن العناصر المحلية كيفما كان نوعها لا تكفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة، وهي الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة»⁽¹³⁾.

والإحالة تنقسم إلى نوعين رئيسيين هما: الإحالة المقامية والإحالة النصية، وتتفرع الثانية إلى إحالة قبلية وإحالة بعدية، أما النوع الأول وهو الإحالة المقامية فهي تسهم في خلق النص لكونها تربط اللغة بسياق المقام إلا أنها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر، بينما تقوم الإحالة النصية بدور فعّال في اتساق النص، وهي تحيل إمّا إلى السابق أو إلى اللاحق⁽¹⁴⁾.

ووسائل الاتساق الإحالية التي سيتم دراستها في هذه الدراسة هي:

- الإحالة بالضمائر

- الإحالة بالموصول

- الإحالة بالمقارنة

المطلب الأول: الإحالة بالضمائر

تؤدي الضمائر دوراً فعالاً في تماسك النص والمحافظة على وحدته، وكما ذكرنا سابقاً أن هذه الإحالة تكون على نوعين، ضمائر تحيل إلى خارج النص (مقامية) وأخرى تحيل إلى داخله (نصية)، والإحالة النصية تنقسم إلى قبلية وبعدية، وقد نوع الشاعر أمل دنقل في استخدام الضمائر بأشكالها المختلفة في قصيدته، وقد جاء هذا التنوع نتيجة لتعدد الأصوات في القصيدة، فالضمائر بأشكالها تعطي للنص مجالا آخر لتعدد الأصوات، مما يكسب النص دراميته خاصة إذا اقترن تنوع الضمائر بحوار في البنية النصية، فإن هذا الحوار يضيف على النص حيوية وتدفقاً وينفي عنه أحادية الصوت الذي قد تدفع إلى الملل أو تحوّل النص إلى الافضاء أو البوح الذاتي⁽¹⁵⁾.

وقد كان لحضور الرموز التراثية والأسطورية وهي زرقاء اليمامة وملكة تدمر زنوبيا وعنترة بن شداد، أثراً في تعدد الأصوات في قصيدة (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة)، ومن ناحية أخرى فإنها تمنح المتلقي القدرة على توقع رؤية الشاعر وتجربته الشعرية، فهذه الشخصيات الثلاثة تلتقي في بؤرة دلالية واحدة هي الذل والضياع والهزيمة، وتلك البؤرة تعمل على استقطاب وجذب الضمائر نحوها⁽¹⁶⁾.

أبدع أمل دنقل في استخدام الإحالة الضميرية واستطاع أن يصنع من خلال الانتقال بين الضمائر بصورة متداخلة متناسقة نسيجاً نصياً مترابطاً على المستويين الشكلي والدلالي، يقول في بداية القصيدة:

أيتها العرّافة المقدّسة

جئتُ إليك.. مشخناً بالطعنات والدماء

أزحفُ في معاطف القتلى.. وفوق الجثث المُكدّسة
مُنكسر السيف.. مُغبرّ الجبين والأعضاء⁽¹⁷⁾.

(15) محمد حماسة عبد اللطيف، الا بدّاع الموازي، ط1، التحليل النصي للشعر، القاهرة، دار غريب 2001، ص 179.

(16) صبحي الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص 156.

(17) أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ط2، مصر، القاهرة، دار

الشروق، 2012، ص 95.

(10) أحمد عمار، تحليل الخطاب الشعري من منظور اللسانيات النصية، عالم الكتب الحديثة، اربد، 2006، ص 495.

(11) جون لاينز، علم الدلالة، ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة وحليم حسين فالح وكاظم حسين باقر، جامعة البصرة، البصرة، د.ط 1980، ص 43.

(12) أحمد عفيفي، نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، 2004، ص 116).

(13) محمد خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص 17.

(14) المرجع نفسه، ص 16.

يفتح النص بإحالة مقامية يمثلها ضمير المتكلم المتصل وهو التاء في (جئتُ)، فضمير المتكلم الذي يعود على الشاعر يندرج ضمن الإحالة المقامية⁽¹⁸⁾.

والشاعر هنا «تداخل صوته بصوت جندي قاسى أهوال الحرب وعاد يشكو للزرقاء ثقل العار الذي صار يحمله»⁽¹⁹⁾، ثم ينتقل مباشرة إلى ضمير المخاطبة المتصل في (إليك)، وهي إحالة نصية قبلية، فالكاف تعود على زرقاء اليمامة التي وصفها بالسطر الأول بالعرفاة المقدسة.

وفي ضمير المتكلم الغائب (أزحف) متابعة لوصف الهزيمة على لسان الجندي المهزوم الجريح فهو يزحف زحفاً من شدة الطعنات فوق جثث القتلى. ونجد الشاعر يكرر هذا التناوب بين الضميرين ذاتهما، يقول:

أَسْأَلُ يَا زَرْقَاءَ..

عن فمك الياقوت.. عن نبوءة العذراء

عن ساعدي المقطوع.. وهو ما يزال ممسكاً بالراية المنكسة

عن صور الأطفال في الخوذات.. ملقاةً على الصحراء⁽²⁰⁾

فالشاعر صاحب (ضمير المتكلم) يخاطب الزرقاء صاحبة (ضمير المخاطبة) بصورة متكررة في القصيدة، راسماً بهذا الحوار صورة الانكسار والضياع بسبب الهزيمة التي حلت بأمتة.

ومن الإحالات النصية قبلية التي تتجذب نحو الفكرة ذاتها قوله:

عن جاري الذي يهْمُ بارتشاف الماء

فيثقب الرصاصُ رأسَهُ.. في لحظة الملامسة⁽²¹⁾!

(18) محمد خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص 18.

(19) حسين ميزرائي، سيدرا ابراهيم آرمن، التناص الأسطوري في شعر أمل دنقل، فصلية دراسات الأدب المعاصر السنة الثالثة، العدد التاسع، ص 14.

(20) أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ص 95.

(21) المرجع نفسه، ص 95-96.

فضمير الغائب المستتر في الفعل (يهْمُ) يعود على لفظة سابقة هي (جاري) وهو أحد ضحايا الهزيمة الذي مات قبل أن يشرب، وفي هذه السلسلة المتشابكة من الضمائر نجد الضمير الذي يعود على الجندي المقاتل المهزوم والضمير الذي يعود على زرقاء اليمامة، هما الأكثر حضوراً وامتداداً وتحولاً داخل النص، فالإحالة الضميرية المقامية التي جمعت بين صوت الشاعر وصوت الجندي، وتحولت إلى مستوى دلالي آخر يجمع بين الجندي وعنترة بن شداد، فقد وُحِدَ الشاعر بين الشخصيتين «وهذا التوحد يدعو إلى استدعاء جزء من حياة الحرمان التي عاشها عنترة أيام العبودية في قبيلة قيس»⁽²²⁾، يقول الشاعر:

قيل لي «أخرس»

فخرستُ.. وعميتُ.. وأتممتُ بالخصيان

ظلمتُ في عبيد (عبس) أحرس القطعان

أجتزُ صوفها..

أردُ نوقها..

أنام في حظائر النسيان..

طعامي الكسرة.. والماء.. وبعض التمرات اليابسة

وها أنا في ساعة الطعان

ساعة أن تخاذل الكمأة.. والرمأة.. والفرسان

دعيتُ للميدان!

أنا الذي ما ذقتُ لحم الضأن

أنا الذي لا حول لي ولا شأن..

أنا الذي أقصيتُ عن مجالس الفتيان..

أدعى إلى الموت.. ولم أدع إلى المجالسة⁽²³⁾!!

(22) حسين ميزرائي، سيدرا ابراهيم آرمن، التناص الأسطوري في شعر أمل دنقل، ص 14.

(23) أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ص 97-98.

وعبر هذه الأسطر الشعرية نجد الإحالة الضميرية المقامية تنتقل من ضمير المتكلم المتصل (فخرستُ، وعميتُ وأتممتُ، ظلتُ) إلى ضمير المتكلم المستتر (اجتزُ، أَرُدُّ، أنا، أحرص) إلى ضمير المتكلم المنفصل (أنا) الذي كرره الشاعر عدة مرات، ولعل هذا التكرار «تأكيدٌ على (الأنا) المسلوية، المحكومة بالسكوت...»⁽²⁴⁾.

إنَّ الإحالة الضميرية المقامية التي جمعت بين صوت الشاعر والجندي وعترة بن شداد نجدها تنتقل إلى شخصية أخرى هي زنوبيا ملكة تدمر، فالشاعر أمل دنقل يتناص مع أبيات رويت عن زنوبيا دون تحوير أو تغيير⁽²⁵⁾، يقول:

أسائل الصمت الذي يخنقني:

«ما للجمال مشيها وئيذا...!»

أجندلاً يحملن أم حديدا...!»

فمن ترى يصدقني؟

أسائل الركع والسجودا

اسائل القيودا:

«ما للجمال مشيها وئيذا...!»

«ما للجمال مشيها وئيذا...!»⁽²⁶⁾

وتضمن بيت زنوبيا «يرمز إلى فداحة الهزيمة ووطأتها وشدة الشعور بآثارها والآمها.. وفيه إحياء إلى تطلّع الملهوف إلى الإنقاذ السريع والتخلص من عوامل الهزيمة وأسباب الانكسار»⁽²⁷⁾، فالملكة

زنوبيا تعرضت للهزيمة والموت بسبب الخيانة فقد كان الجاسوس قيصر ينقل أسرارها إلى عدوها عمرو بن عدي، فأعد عمرو جنوده مخبأين في صناديق تحملها قافلة جمال، وعندما اقتربت الجمال من أسوار المدينة أخبرها قيصر بأن الجمال تحمل لها هدايا ثمينة وكثيرة من غريمها الذي يطلب ودّها، وما أن اقتربت من الأسوار حتى اعتراها الخوف بسبب بطء الجمال، فأنشدت قائلة:

ما للجمال مشيها وئيذا

أجندلاً يحملن أم حديدا

أم صرفانا بارداً شديدا

وقفز الرجال من الصناديق وراحوا يقتلون أهل المدينة فلما رات أنها مقتولة لا محالة مصت خاتمها -وكان به سم- وقالت: بيدي لا بيدك يا عمرو، فذهبت مثلاً، وتلقاها عمرو بن عدي وكرر قتلها بسيفه وأصاب ما أصاب من أهل المدينة ثم رجع إلى العراق⁽²⁸⁾.

لقد أبدع الشاعر في تنقل الإحالة المقامية بين الشخصيات الممتدة على مساحة النص (الشاعر، الجندي، عنترة، وزنوبيا) عبر سلسلة من الضمائر المتداخلة والمتشابكة ورغم هذا التداخل والتشابك إلا أنها حققت ترابطاً شكلياً ودلاليّاً، وعلى الرغم من أن الإحالة المقامية لا تسهم في اتساق النص مباشرة كما يرى محمد خطابي⁽²⁹⁾، إلا أنه بإمكان المتلقي أن يدرك مرجعية الضمير المقامي من خلال الإشارات السياقية اللفظية والدلالية داخل النص.

يعود الشاعر لنداء زرقاء اليمامة (العُرّافة المقدّسة) يائساً حزيناً مستخدماً الضمير المتصل

(24) ورقاء يحيى قاسم المعاضدي، الرمز التراثي، قراءة في قصيدة البكاء بين يدي زرقاء اليمامة، مجلة التربية والعلم، مجلد 17، العدد (1) سنة 2010، ص 219.

(25) سواعدية عائشة، جماليات التناص في شعر أمل دنقل ديوان «البكاء بين يدي زرقاء اليمامة» ص 96.

(26) أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ص 98-99.

(27) بسمه محمد عوض الخفيفي، الرمز في شعر أمل دنقل (رسالة ماجستير)، جامعة قار يونس، ص 175-176.

(28) ينظر: شوقي عبد الحكيم، موسوعة الفلكلور والأساطير العربية، ط1، بيروت، دار العودة، 1982، ص 326.

(29) محمد خطابي، لسانيات النص، ص 71.

ونحن جرحى القلب
جرحى الروح والفم

إنَّ الانتقال في الإحالة المقامية من ضمير المتكلمين المتصل (نا) إلى ضمير المتكلمين المنفصل (نحن) يحمل دلالة ما في ذهن الشاعر فلعلة أراد أن يستحضر متكلمين آخرين غيره، وقد أشار النحاة إلى الفرق التركيبي النحوي بين الضميرين المتصل والمنفصل، فقد ذكر ابن جني أنَّ الضمير المتصل ضعيف «فُخِّلَ معنى الاسم منه، أما المنفصل فجاء بانفصاله مجرى الأسماء الظاهرة القوية المعربة»⁽³¹⁾، وكأنَّ الشاعر أراد أن يقوِّي المعنى ويعممه، فهذا الانتقال الضميري يمثل نسقاً دلالياً متدرجاً من الخاص إلى العام لتكون تجربة الشاعر هي تجربة شعب بأكمله، وربما شعوب، وخلال هذه الإحالات المقامية المتعددة في القصيدة نجد إحالات نصية تسهم في ترابط النص وتماسكه ففي قوله:

وصبيةٌ مُشَرَّدون يعبرون آخر الأناهار
ونسوةٌ يُسَقَّن في سلاسل الأسر
وفي ثياب العار⁽³²⁾

نجد إحالة نصية قبلية، فالضمير المتصل (واو الجماعة) في (يعبرون) يعود على لفظة سابقة هي (صبيةٌ) وكذلك نون النسوة في (يسقن) فإنَّ الضمير فيها يعود على سابق هو (نسوةٌ)، وهذه الإحالات تسهم في رسم صورة الذل والهوان والضياع التي آلت إليها الأمة.

(31) ابن جني، الخصائص، د.ط، تحقيق محمد علي النجار، مصر دار الكتب المصرية، د.ن، 191/2.
(32) أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ص 100.

الذي يعود على قوم زرقاء اليمامة الذين حاولت أن تحذرهم من عدوهم القادم المتخفي وراء الأشجار إلا أنهم كذبوها وضحكوا ساخرين منها، ولكن عندما فوجئوا بعدوهم بياغتهم قايسوا بالناس والأرض ولاذوا بالفرار وعاش الشعب حالة الهزيمة والذل والانكسار والحرية المسلوقة، يقول الشاعر:

أيتها العرَّافة المقدَّسة

ماذا تفيد الكلمات البائسة؟

قلت لهم ما قلت عن قوافل الغبار..

فاتَّهموا عينيك يا زرقاء بالبوار!

قلت لهم ما قلت عن مسيرة الأشجار..

فاستضحكوا من وهمك الثرثار!

وحين فوجئوا بحدِّ السيف: قايسوا بنا

والتمسوا النجاة والفرار⁽³⁰⁾.

إنَّ ضمائر الغائب المتصلة التي استخدمها الشاعر (لهم/ اتَّهموا/ استضحكوا/ فوجئوا/ التمسوا) تمثل إحالات خارجية تاريخية فهي تعود على قوم زرقاء اليمامة في قصتها التراثية الشهيرة، ولعلَّ الشاعر رمز بتلك الإحالة إلى الهزيمة.

وعبر نسيج الضمائر المتداخلة المتشابكة نجد الشاعر ينتقل إلى ضمير المتكلم المتصل (نا) في قوله: وحين فوجئوا بحدِّ السيف: قايسوا بنا.

ولعله أراد بهذا الضمير أن يجمع بين الشخوص المهزومة الجريحة في قصيدته وهم الشاعر والجندي وزرقاء اليمامة وعنترة بن شداد وزنوبيا، ثم ينتقل بعد ذلك مباشرة إلى ضمير المتكلمين المنفصل (نحن)، ويقول:

(30) أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ص 99.

المطلب الثاني: الإحالة بالموصول

يُعد الاسم الموصول من وسائل التماسك النصي، لأنه يستدعي وجود جملة بعده ضمن المعايير التركيبية النحوية، فهذه الأسماء عند النحاة تتميز بحاجتها إلى الصلة⁽³³⁾، وأطلق عليها أبو البركات الأنباري «اسم الصلة»⁽³⁴⁾، وهي عندهم لا تكون إلا معرفة⁽³⁵⁾، واكتسب تعرفها من جملة الصلة بعدها، أو ما عبر عنه سيبويه بالحشو⁽³⁶⁾، بالتالي فإن الأسماء الموصولة من غير جملة الصلة لا تكون معرفة، ونجد المبرد قد جعل (المُبهم) عنواناً لكل من اسم الإشارة والاسم الموصول⁽³⁷⁾، فما يليهما من جمل يزيل الإبهام والغموض، ومن هنا كانت هذه الوسيلة من وسائل الترابط النحوي، وقد لجأ أمل دنقل إليها في غير موضع، يقول:

عن جاري الذي يهْمُ بارتشاف الماء
فيثقب الرصاصُ رأسه في لحظة الملامسة⁽³⁸⁾

إن الاسم الموصول (الذي) يمثل إحالة نصية قبلية يعود على (جاري)، وقد أبرزت جملة صلة الموصول المعنى وأزالت الغموض عن الاسم الموصول، وهذا بدوره يخدم الدلالة العامة للنص وهي وصف حالة القتل والهزيمة والانكسار.

وفي موضع آخر يقول:

أنا الذي ما ذقتُ لحم الضأن

أنا الذي لا حول الي ولا شأن

أنا الذي أقصيتُ عن مجالس الفتيان⁽³⁹⁾.

(33) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، كتاب سيبويه، تحقيق عبدالسلام هارون، ط3، بيروت، عالم الكتب، 1983، 105/2.

(34) أبو البركات الأنباري، أسرار العربية، تحقيق فخر صالح قدارة، ط1، بيروت، دار الجيل، 1995، ص 326.

(35) سيبويه، كتاب سيبويه 107/2.

(36) المرجع نفسه 107/2.

(37) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عظيم، د.ت، بيروت، عالم الكتب 186/3، 197.

(38) أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ص 95.

(39) المرجع نفسه، ص 98.

ذكرنا سابقاً أن الضمير (أنا) يمثل إحالة مقامية تعود على شخصية تراثية بدت معروفة لنا من خلال السياق وهي عنتر بن شداد، والشاعر أمل دنقل أتبع ضمير المتكلم المنفصل (أنا) الاسم الموصول (الذي)، مكرراً هذا النمط اللغوي ثلاث مرات، وورود إحالتين متتاليتين يحمل دلالة ما في نفس الشاعر، ولعل هذه الدلالة تكمن في تأكيد المعنى، فعنتر بن شداد صاحب ضمير المتكلم المنفصل (أنا) والاسم الموصول (الذي) في هذه المرحلة التركيبية الدلالية من القصيدة، يكرر كلامه حزيناً غاضباً من حالة الذل والهوان التي يعيشها، فتوالي الإحالتين وتكرارهما مرتبطان بالحالة الانفعالية للمتكلم، فعنتر الذي عرف بفروسيته وشجاعته كان مهاناً ذليلاً في قومه، وكانوا يستثنونه من كل أمر إلا من القتال وسفك الدماء، وهذه الشريحة الدلالية من القصيدة كانت «تعبيراً عميقاً وصادقاً عن موقف عنتر/الشعب العربي، الذي تركه الحكام في صحراء الإهمال يسوق النوق إلى المراعي ويجلب الأغنام، حتى إذا ما اشتدت الحرب وأعلنوا المعركة ذهبوا إليه يستصرخون روح الحماية، ويدعونه إلى الدفاع عن قصورهم المضاء بالمسرات وألوان الترف»⁽⁴⁰⁾.

والموضع الأخير للإحالة بالموصول في القصيدة، قول الشاعر:

لا الليل يخفي عورتى.. ولا الجدران!

ولا اختبائي في الصحيفة التي أشدها⁽⁴¹⁾

فالاسم الموصول (التي) يعود على (الصحيفة) وهي إحالة نصية قبلية، أسهمت في الترابط الشكلي والدلالي في النص، فالاسم الموصول مع صلته يشكل تركيباً خاصاً يمنحه قدره وظيفية مؤداها وصل الكلام بعضه ببعض شكلاً ودلالة.

(40) عبدالعزيز المقالح، أمل دنقل وأنشودة البساطة، مجلة ابداع، القاهرة، عدد 10، السنة الأولى، 1983، ص 22.

(41) أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ص 96.

المطلب الثالث: الإحالة بالمقارنة

هي إحدى الإحالات التي تقضي إلى درجة من التماسك والاتساق⁽⁴²⁾، وتنقسم الإحالة بالمقارنة إلى عامة يتفرع منها التطابق والتشابه والاختلاف وإلى خاصة تتفرع إلى كمية وكيفية وتكون عبر ألفاظ دالة مثل أكبر وأجمل⁽⁴³⁾.

ومن أمثلة الإحالة بالمقارنة في القصيدة (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة):

أَسْأَلُ يَا زَرْقَاءَ..

عن فمكِ الياقوتِ.. عن نبوءة العذراء

عن ساعدي المقطوع.. وهو ما يزال ممسكا
بالراية المنكسة⁽⁴⁴⁾.

ففي قوله (فمكِ الياقوتِ) إحالة مقارنة تشابهية، ففم الزرقاء يشبه الياقوت، فكلاهما ثمين ومهم بالنسبة للشاعر، أما في قوله (عن ساعدي المقطوع.. وهو ما يزال ممسكا بالراية المنكسة) فتلك إحالة مقارنة تقوم على الاختلاف فاليد المقطوعة تمسك بالراية المنكسة، وهذا يخدم دلالة الرفض ومحاولة الصمود.

وفي قول الشاعر:

لا تغمضي عينيك فالجرذان..

تعلق من دمي حساءها.. ولا أَرُدُّها⁽⁴⁵⁾!

نجد إحالة مقارنة تشابهية فالدم يشبه الحساء بالنسبة للجرذان الذين تسببوا بالهزيمة وإراقة الدماء ثم احتسائها بعد ذلك.

وفي قول الشاعر: ولا احتمائي في سحائب الدخان⁽⁴⁶⁾.

نجد إحالة مقارنة تشابهية فالدخان يشبه السحب، وهي إحالة تصب في الدلالة العامة وهي وصف حالة الدمار والخراب بسبب الحرب والهزيمة. ومن الأمثلة على علاقة الاختلاف بين طرفي المقارنة قول الشاعر:

أنا الذي أقصيتُ عن مجالس الفتيان..

أُدعى إلى الموت.. ولم أدع إلى المجالسة⁽⁴⁷⁾!!

فالمتكلم هنا وهو عنتره يعيش حالتين متناقضتين في قومه، فهو في حالة الرخاء والاستقرار يُستبعد عن مجالسهم وحياتهم ويكون مهمشاً ذليلاً، أما في حالة الحرب والمعارك فهم يستدعون له ليحارب ويدافع عن أملاكهم وأرضهم وحياتهم. وهنا كان الشاعر موفقاً أيضاً بالحفاظ على النسيج الدلالي متماسكاً مترابطاً.

وفي قول الشاعر:

فها أنا على التراب سائل دمي

وهو ظمّي يطلب المزيد⁽⁴⁸⁾.

تتبدى علاقة التشابه بين الدم والماء، فالدم يشبه الماء الذي يسيل على التراب، ورغم كثرته إلا أنّ التراب ما زال ظمئاً... وفي هذه العلاقة امتداد لرؤية الشاعر في القصيدة وهي حاجة الأرض لمن يدافع عنها ويبذل دمه فداءً لها.

لقد استطاع الشاعر من خلال الصور التشابهية والاختلافية أن يحقق تماسكاً نصياً يضمن فيه استمرارية تفاعل المتلقي مع النص.

(42) محمد خطابي، لسانيات النص، ص 19.

(43) المرجع نفسه، ص 19.

(44) أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ص 95.

(45) المرجع نفسه، ص 96.

(46) المرجع نفسه، ص 98.

(47) المرجع نفسه، ص 98.

(48) أمل دنقل، الأعمال الكاملة.

المبحث الثالث: الحذف

ومن أمثلة الحذف الفعلي في القصيدة:

أَسْأَلُ يَا زُرْقَاءَ..

عن فمكِ الياقوت.. عن نبوءة العذراء

عن ساعدي المقطوع.. وهو ما يزال ممسكاً بالراية المنكسة

عن صور الأطفال في الخوذات.. ملقاة على الصحراء

عن جاري الذي يهيمُ بارتشاف الماء

فيثقب الرصاصُ رأسه في لحظة الملامسة!

عن الفم المحشو بالرمال والدماء! (55)

حذف الفعل (أَسْأَلُ) في خمسة أسطر شعرية

فالأصل المفترض هو (أَسْأَلُ عن نبوءة العذراء/

أَسْأَلُ عن ساعدي المقطوع/ أَسْأَلُ عن جاري الذي../

أَسْأَلُ عن صور الأطفال../ أَسْأَلُ عن الفم المحشو

بالرمال..)، والحذف وقع في سياق متماسك، لأنه

يعود على سابق فقد ذكر الشاعر الفعل في بداية

المقطوعة ثم حذفه في خمسة مواضع تالية، والواقع

أن الحذف يحمل دلالة جمالية وفنية، فلو ذكره

الشاعر لأضعف تكراره النص، وربما التفت الشاعر

إلى مسألة الترابط الجملي؛ فعمد إلى ذكر الفعل

(أَسْأَلُ) بعد حذفه خمس مرات ليعود إلى حذفه في

موضع سادس، يقول:

أَسْأَلُ يَا زُرْقَاءَ..

عن وقفتي العزلاء بين السيف.. والجدار

عن صرخة المرأة بين السبي.. الفراق! (56)

ومن مواضع الحذف الفعلي:

وها أنا في ساعة الطعان

ساعة أن تخاذل الكماة.. والرماة.. والفرسان.

دعيت للميدان! (57)

الفعل المحذوف هو (تخاذل)، وقد دلت عليه (الواو

العاطفة) فالأصل المفترض هو (وتخاذل الرماة

وتخاذل الفرسان)، وهو حذف جوازي، أجازته النحاة

«منفرداً في التكرير العطف» (58)، وهذا الحذف

حقوق ترابطاً جملياً بسبب وجود دليل على المحذوف

في الجملة السابقة.

يُعد الحذف ظاهرة لغوية وأسلوباً بلاغياً شاع استعماله عند العرب وقد درس القدماء من نحاة وبلاغيين هذه الظاهرة، فذكر ابن جني أن العرب «قد حذفت الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته» (49).

وقد نظر الجرجاني إلى الحذف على أنه «باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فأنت ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين» (50)، فهو كأسلوب بلاغي يزيد من جمالية النص وشعريته، لكنه من الناحية التركيبية مقيّد بشروط ومعايير اتفق عليها النحاة.

وفي الدرس اللساني فإن الحذف يمثل «علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق، وهذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبلية» (51)، بمعنى أننا نجد في النص الثاني أو الجملة الثانية فراغاً بنيوياً يهتدي القارئ إلى مثله اعتماداً على ما ورد في النص السابق أو الجملة الأولى، (52) والعلاقة بين «طرفي الجملة علاقة بنيوية لا يقوم الحذف فيها بأي دور اتساق، وبناءً عليه فإن أهمية دور الحذف في الاتساق ينبغي البحث عنه في العلاقة بين الجمل وليس داخل الجملة الواحدة» (53).

وأنواع الحذف هي «الحذف الاسمي والحذف الفعلي والحذف داخل ما يشبه الجملة» (54).

(49) ابن جني، الخصائص 360/2.

(50) عبد القاهر الجرجاني، كتاب دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ط5، القاهرة، الخانجي، 2004، ص 146.

(51) محمد خطابي، لسانيات النص، ص 21.

(52) المرجع نفسه، ص 21.

(53) المرجع نفسه، ص 22.

(54) أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 127.

(55) أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ص 95-96.

(56) المرجع نفسه، ص 96.

(57) المرجع نفسه، ص 98.

(58) جمال الدين عبد الله بن هشام، شرح شذور الذهب، تحقيق يوسف البقاعي، ط 1، دار الفكر، 2003، ص 222.

ومن مواضع الحذف الاسمي في القصيدة:

ونحن جرحى القلب

جرحى الروح والضم

لم يبق إلا الموت⁽⁵⁹⁾

العنصر الاسمي المحذوف في السطر الشعري الثاني هو ضمير المتكلمين المنفصل (نحن)، وهو حذف يقود إلى الاتساق ويخلص النص من التكرار.

ومن أشكال الحذف التي اشتملت عليها القصيدة بكثرة، الحذف الذي لا يحيل إلى سابق في النص، والذي يتمثل بنقاط الحذف (...) وهي تؤدي إلى دلالات جمالية لا لغة فيها، عُرِفَتْ بدلالات الصمت⁽⁶⁰⁾، وهذه العلامة السيميائية تسهم في بتر المنجز النصي لسانياً وتقلل من دور اللغة الظاهر في نسج النص لكنها بالمقابل توحى بقصور اللفظ لدى الشاعر عن إيصال المراد⁽⁶¹⁾، فهناك كلام محذوف لم يذكره وحقه الحضور مشيراً إليه من خلال مجموعة من النقاط (...) توحى بالانقطاع اللغوي النصي «مما دعا بعض النقاد إلى افتراض وجود أسباب تقدر وفق سياقها، وقد يكون منها خضوع النص للرقابة ومحاولة المبدع الإشارة إلى جزئية مهمة محذوفة وحققها الحضور، أو أن المبدع يحاول أن يحفز المتلقي في إنتاج النص»⁽⁶²⁾، وهذا النوع من الحذف يدرس ضمن عناصر الانسجام النصي، لأنه يمثل «آلية تفكك وتشيت على المستوى اللساني النصي»⁽⁶³⁾.

المبحث الرابع: الوصل

الوصل من وسائل الاتساق النحوي الفعالة في النص، وهو مختلف عن عناصر الاتساق الأخرى «وذلك لأنه لا يتضمن إشارة موجهة نحو البحث المفترض فيما تقدم أو ما سيلحق، كما هو شأن الإحالة والاستبدال والحذف»⁽⁶⁴⁾، بالتالي هو «تحديد للطريقة التي ترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم، معنى هذا أن النص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطياً، ولكي تُدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص»⁽⁶⁵⁾.

أشكال الوصل هي «إضافي وعكسي وسببي وزمني»⁽⁶⁶⁾، ومن أمثلة الوصل في القصيدة:

جئتُ إليك.. مثخناً بالطعنات والدماء

أزحفُ في معازل القتلى.. وفوق الجثث المُكدّسة
مُنكسر السيف.. مُغبرّ الجبين والأعضاء⁽⁶⁷⁾.

فقوله (أزحفُ في معازل القتلى.. وفوق الجثث المُكدّسة) تمثل وصلاً إضافياً، أي عطف بواسطة أو العطف، ووظيفتها عند النحاة «مطلق الجمع»⁽⁶⁸⁾، أي الجمع والمشاركة بين السابق واللاحق، ويرى محمد خطابي أن «الربط بالوصل الإضافي يتم بواسطة الأدوات (و) و(أو)»⁽⁶⁹⁾.

والشاعر عطف شبه جملة ظرفية مكانية على شبه جملة مكونة من الجار والمجرور تحمل دلالة الطرف فحرف الجر (في) يفيد الظرفية المكانية، بالتالي فقد تحقق الاتساق الشكلي التركيبي، أما من الناحية الدلالية فلم يقتصر الأمر على الجمع بين طرفي الوصل، بل برزت الإضافة الدلالية فالشاعر

(59) أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ص 100.

(60) محمد فكري الجزار، الخطاب الشعري عند محمود درويش، ط 1، القاهرة، أبتراك للطباعة والنشر، 2001، ص 69.

(61) فتحي رزق الخوالدة، تحليل الخطاب الشعري ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان أحد عشر كوكبا لمحمود درويش (رسالة ماجستير) جامعة مؤتة / 2005، ص 55.

(62) سامح الرواشدة، إشكالية التأويل والتلقي، ط 1، الأردن أمانة عمان، 2001، ص 110.

(63) سامح الرواشدة، ثنائية الاتساق والانسجام في قصيدة الوقت، الجامعة الأردنية، مجلة دراسات 2003 مجلد 3 عدد 3، ص 520.

(64) محمد خطابي، لسانيات النص، ص 22-23.

(65) المرجع نفسه، ص 23.

(66) المرجع نفسه، ص 23.

(67) أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ص 95.

(68) جمال الدين ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط 1، لبنان در الفكر، 1993، ص 463.

(69) محمد خطابي، لسانيات النص، ص 23.

يصف لنا حال المتكلم وهو عاجز عن السير بسبب جراحه من ناحية وبسبب كثرة القتلى في هذه الحرب من ناحية أخرى، وأضاف إلى ذلك أنه يزحف فوقهم من شدة تكدرهم.

أما قوله: (مُنْكَسِرُ السيف.. مُغَبَّرُ الجبين والأعضاء) فهو تعبير يدل على وجود طرفي وصل مع حذف الرابط الذي يمكن أن يُقَدَّر بـ (الواو)، وقد أجاز النحاة «حذف العاطف وحده ولا يكون هذا إلا في الواو والفاء وأو»⁽⁷⁰⁾، ولعل الحالة الانفعالية التي يعيشها الشاعر بسبب الهزيمة وما تبعها من ذل وهوان كانت سبباً في استخدامه لهذا النمط التركيبي.

وقد لجأ الشاعر إلى الوصل الإضافي باستخدام روابط الوصل من أجل مضاعفة الألفاظ الدالة على الدمار والضياع والخراب بعد الهزيمة، ومن الأمثلة على ذلك قوله:

عن الفم المحشو بالرمال والدماء!!
أسأل يا زرقاء..

عن وقفتي العزلاء بين السيف.. والجدار⁽⁷¹⁾.

ومن روابط الوصل الإضافي في القصيدة (ثم)، يقول: كيف حملت العار..

ثم مشيت؟ دون أن أقتل نفسي؟! دون أن أنهار؟!
ودون أن يسقط لحمي.. من غبار
التربة المُنْدَسَّة⁽⁷²⁾.

فالرابط (ثم) هو عند النحاة «حرف عطف يقتضي ثلاثة أمور: التشريك في الحكم والترتيب والمهلة، وفي كل منها خلاف»⁽⁷³⁾، ولسنا هنا بصدد الحديث عن الخلافات النحوية، ما يهمنا هو أن العطف بواسطة الحرف (ثم) قد حقق ترابطاً شكلياً ودلالياً فبعد أن حمل عار الهزيمة مشى دون أن يقتل نفسه ودون أن ينهار، وربما كان مشيه بطيئاً، وذلك

يتناسب مع دلالة ثم النحوية وهي التشريك والترتيب والمهلة.

ومن روابط الوصل الإضافي في القصيدة (أم):

ما للجمال مشيهاً وثيداً..!٩٠

أجندلاً يحملن أم حديداً..!٩٠⁽⁷⁴⁾

أطلق عليها ابن هشام ي مغني اللبيب (المتصلة): لأن «ما قبلها وما بعدها لا يستغنى بأحدهما عن الآخر»⁽⁷⁵⁾، وهي تفيد التعيين لأنها سبقت بهمة استفهام⁽⁷⁶⁾.

ومن المرجح أن استخدام الرابط (أم) دون غيره قد ارتبط بدلالة اضافية وهي أن زنوبيا كانت مضطربة وخائفة من سير الجمال البطيء جداً فراحت تسأل وتطلب من أي أحد أن يعين لها ما تحمله هذه الجمال، وهي في الواقع لا تريد إجابة فالجمال تقترب وخوفها يزداد، وفي مثل هذا السياق وغيره من مواضع العطف فإنه لا يمكننا أن نفصل بين الاستخدام التركيبي القواعدي لهذا النسق والاستخدام الدلالي، فالعطف رابط تركيبي يربط بين عنصرين بينهما ارتباط دلالي، وله دور كبير في تحقيق التماسك النصي، من خلال تبعية متبوعة وارتباطه به كالكلمة الواحدة مما يجعله امتداداً نصياً للمتبوع، كما يرتبط المعطوف بمعطوفه عن طريق المشاركة معه⁽⁷⁷⁾.

ومن الأمثلة على الوصل السببي في القصيدة:

لا تغمضي عينيك فالجرذان

تلعق من دمي حساءها.. ولا أردها⁽⁷⁸⁾!

(74) أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ص. 99.

(75) ابن هشام، مغني اللبيب، ص. 61.

(76) المرجع نفسه، ص. 61.

(77) يُنظر خليل ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ط1، دار جرير، 2009، ص. 192 ويُنظر: مصطفى النحاس، نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب، الكويت ذات السلاسل، 2001، ص. 61.

(78) أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ص. 96.

(70) عباس حسن، النحو الوافي، ط4، مصر، دار المعارف،

د.ت، 640/3.

(71) أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ص. 96.

(72) المرجع نفسه، ص. 96.

(73) ابن هشام، مغني اللبيب، ص. 158.

إنّ طرفي الوصل السببي هما، ما قبل (الفاء) وما بعدها فالشاعر يطلب من زرقاء اليمامة أن لا تغمض عينيها والسبب هو أن الجرذان تلتق من دمه ولا يستطيع أن يمنعها، وخلف هذا التركيب اللغوي دلالة عميقة في نفس الشاعر، فهو ما زال ينتظر إنقاذاً من الزرقاء بالرغم من علمه أنها أول المهزومين في القصيدة.

ومن أمثلته أيضاً قول الشاعر:

قلت لهم ما قلت عن قوافل الغبار..

فاتّهموا عينيكَ يا زرقاء بالبوار!

قلت لهم ما قلت عن مسيرة الأشجار..

فاستضحكوا من وهمك الثرثار!

(فالفاء) في (فاتّهموا) و(فاستضحكوا) كانت الرابط بين طرفي الوصل السببي، وقد ارتبطت بالطرف اللاحق الذي يمثل نتيجة الطرف السابق، وهذا ما يراه محمد خطابي، فبالوصل السببي «يمكننا إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر، ... وتدرج ضمنه علاقات خاصة كالنتيجة والسبب والشرط»⁽⁷⁹⁾، وفي قول الشاعر:

قيل لي «أخرس..» فخرست.. وعميت.. وأتممت بالخصيان!

ظلمت في عبيد (عبس) أحرس القطعان⁽⁸⁰⁾

نجده يصف منتهى الذل والعبودية من خلال (الوصل السببي) فنتيجة طلب الأسياد من عنبرة أن يخرس هي أنه طاعهم وأصيب بالخرس والعمى وعاش بين العبيد ليخدم أسياده ويحرس قطعانهم. والواقع أن القصيدة اشتملت على نماذج متعددة من الوصل السببي، ساهمت في الترابط الشكلي والدلالي في النص فجميعها تحمل دلالة واحدة وهي التلميح بأسباب الهزيمة ووصف حالة الضياع والدمار بعد الهزيمة.

أما الوصل الزمني فقد اشتملت القصيدة على موضعين منه، الأول:

وحين مات عطشاً في الصحراء المشمسة
رطب باسمك الشفاه اليابسة⁽⁸¹⁾.

تظهر في هذا النسق اللغوي الذي اشتمل على طرفي الوصل الزمني دلالة تتجاوز موت المحارب في المعركة، فهذا المحارب صاحب الشفاه اليابسة حين شعر بالموت رطب باسم طفله شفاهه اليابسة... والموضع الثاني هو:

وحين فوجئوا بحدّ السيف: قايضوا بنا
والتمسوا النجاة والفرار⁽⁸²⁾

إنّ قوم زرقاء اليمامة الذين لم يصدقوها واتهموها بالعمى وقعوا في فخ الهزيمة، فعندما وصلت مسيرة الأشجار التي أخبرتهم عنها الزرقاء ولم يصدقوها وسخروا منها انقضّ عليهم العدو بسيوفهم، وحينما فوجئوا بذلك بدأت الخيانة فقايضوا عدوهم بالشعب والأرض ولاذوا بالفرار والنجاة، ومن هنا فقد كان لاستخدام الشاعر هذا النوع من الوصل قيمة شكلية ودلالية.

وأخيراً فقد حققت آلية الوصل اتساقاً على المستويين النحوي والدلالي، فقد طوّعها الشاعر لخدمة رؤيته الشعرية وصنع منها سياقاً خلافاً للمعاني الفرعية التي ترتبط بتجربته الشعرية «ومعنى هذا أن قضية الإبداع الفني في الأدب هي قضية خلق البناء اللغوي القادر على الكشف الوجودي ذي الإيحاء المتجدد، ومن أجل ذلك لا تكون الكلمات خارج سياق النص الأدبي سوى رموز لأشياء كلية عامة ذات طابع تراثي، أو ذاتية خاصة ذات طابع سيكولوجي فردي وإنما تكتسب دلالتها الفنية وحقيقتها الموضوعية داخل ذلك الإطار اللغوي الذي نسميه الجملة»⁽⁸³⁾.

(81) أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ص 97.

(82) المرجع نفسه، ص 99.

(83) عفت الشرفاوي، بلاغة العطف في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية، د. ط، بيروت، دار النهضة، 1981، ص 155.

(79) محمد خطابي، لسانيات النص، ص 23.

(80) أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ص 97.

المبحث الخامس: الاستبدال

يعد الاستبدال من العناصر الاتساقية الفعالة التي تسهم في الربط الشكلي للنصوص فهو «عملية تتم داخل النص، بتعويض عنصر بعنصر آخر»⁽⁸⁴⁾، وهذه العملية تكون على «المستوى النحوي المعجمي بين كلمات أو عبارات»⁽⁸⁵⁾، والاستبدال يضمن استمرار العنصر المستبدل سواء على المستوى النحوي أو المعجمي، «فعندما نتكلم عن الاستبدال فإننا لا بد أن نتكلم عن الاستمرارية الدلالية أي وجود العنصر المستبدل في الجملة اللاحقة»⁽⁸⁶⁾، والاستبدال يقوي أواصر النص ويدعم تماسكه إذ لا يكن فهم العنصر المستبدل إلا بالعودة إلى ما هو متعلق به، «فالعلاقة بين العنصرين المُستبدل والمستبدل منه علاقة قبلية بين عنصر سابق في النص وعنصر لاحق فيه»⁽⁸⁷⁾.

ويقسم الاستبدال إلى «استبدال اسمي واستبدال فعلي واستبدال قولي»⁽⁸⁸⁾، ومن مواضع الاستبدال النادرة في القصيدة:

أَيَّتْهَا العِرافَةُ المقدَّسة⁽⁸⁹⁾

أَيَّتْهَا البنية المقدَّسة⁽⁹⁰⁾

أسأل يا زرقاء..⁽⁹¹⁾

في هذه الأسطر الشعرية الثلاثة يتبدى لنا الاستبدال الاسمي، وهذا الاستبدال لم يقع في هذه الأسطر فقط بل وقع على امتداد مساحة النص مما أسهم في إحداث الترابط الشكلي والمعجمي،

فالزرقاء هي النبوة المقدسة وهي ذاتها العرافة المقدسة، وقد منحها هذه الصفات تقديساً لقدرتها على التنبؤ بوقوع الخطر والتحذير منه.

ومن مواضع الاستبدال الاسمي في القصيدة:

فها أنا على التراب سائل دمي

وهو ظمي يطلُّبُ المزيداً⁽⁹²⁾

استبدل الشاعر التراب وهو اسم ظاهر بالضمير المنفصل (هو)، ونجد في القصيدة بعض الأمثلة على هذا النمط الاستبدالي تمت دراسته في مبحث الإحالة بالضمير، نظراً للعلاقة المتداخلة بين الإحالة بالضمير والاستبدال، فالاستبدال إحالة قبلية.

أما الاستبدال الفعلي فقد ورد في موضعين من القصيدة، الأول:

تكلمي أيتها النبوة المقدسة⁽⁹³⁾

لا تسكتي.. فقد سكَّتْ سنةٌ فسنةٌ⁽⁹⁴⁾

فالاستبدال وقع بين فعلين هما (لا تسكتي وتكلمي) والواقع أن الفعل (تكلمي) تكرر في القصيدة ست مرات في حين ورد الفعل (لا تسكتي) مرة واحدة، وقد شكل هذا التكرار الفعلي مع الاستبدال ترابطاً شكلياً ودلالياً، فالشاعر يطلب من الزرقاء أن تتكلم وبالرغم من إصراره على ذلك إلا أنها ظلت صامتة، ولعله في لحظة انفعال وتمردٍ شديدين استبدل الفعل (تكلمي) بالفعل (لا تسكتي).

والموضع الثاني للاستبدال الفعلي هو:

وحين مات عطشاً في الصحراء المشمسة..

رطبٌ باسمك الشفاه اليابسة..

وارتخت العينان.⁽⁹⁵⁾

(92) المرجع نفسه، ص 98.

(93) المرجع نفسه، ص 96.

(94) المرجع نفسه، ص 79.

(95) المرجع نفسه، ص 97.

(84) أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 123.

(85) نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، ص 63.

(86) أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 123.

(87) محمد خطابي، لسانيات النص، ص 20.

(88) المرجع نفسه، ص 20.

(89) أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ص 95، 99.

(90) المرجع نفسه، ص 96، 97.

(91) المرجع نفسه، ص 95، 96.

فالاستبدال وقع بين الفعلين (ماتّ وارتخت العينان)، إذ استبدل الفعل (مات) بـ الفعل (ارتخت) وكلاهما دلالة على انتهاء الأجل، وكلاهما أفعال ماضية ضمن سياق واحد فالاستبدال «لا بد أن يتم تحت شرط التساوي في الوظيفة النظامية»⁽⁹⁶⁾.

وفي نهاية هذا المبحث نقول أنه بالرغم من قلة النماذج على ظاهرة الاستبدال إلى أن هذا لم يفقد النص ترابطه النحوي والمعجمي، فأمثلة الاستبدال التي تناولتها الدراسة امتازت بامتدادها على مساحة النص، وهنا تكمن أهمية الاستبدال في بناء اتساقية النص، وتقريب القارئ بصورة مبدئية من رؤية الشاعر ومقاصده.

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- قدمت نبذة عن قصيدة (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة)؛ ليظل القارئ على تواصل مع محاور الدراسة.
- تناولت الدراسة بإيجاز معنى الاتساق النحوي وأثره في التماسك النصي.
- لجأ الشاعر أمل دنقل بصورة مكثفة إلى الإحالات الضميرية بأنواعها المقامية والنصية، وكانت الإحالة المقامية هي الأكثر حضوراً في القصيدة والسبب هو الاستحضار الدائم للشخصيات التراثية.

(96) براون ويول، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، 1997، ص 243.

- لجوء الشاعر إلى الإحالة بالموصول في ثلاثة مواضع فقط، وبالرغم من ندرة مواضعها إلا أن ذلك لم يؤثر في اتساق القصيدة؛ نظراً لاعتماد الشاعر على عناصر اتساقية أخرى.
- استخدم الشاعر نوعين من الإحالة بالمقارنة هما المقارنة بالتشابه والمقارنة بالاختلاف، واستطاع خلالهما أن يحقق ترابطاً شكلياً ودلالياً في القصيدة.
- استخدم الشاعر ظاهرة الحذف في القصيدة معتمداً على نوعين منه هما الحذف الفعلي والحذف الاسمي، كما أنه أكثر من الحذف الممثل بنقاط (...) وهذا النوع من الحذف يدرس ضمن الانسجام النصي.
- حققت آلية الوصل اتساقاً نصياً في القصيدة، وكان الوصل الإضافي هو الأكثر بروزاً يليه الوصل السببي، أما الوصل الزمني فهو الأقل بروزاً حيث ورد في موضعين فقط من القصيدة، في حين انعدم الوصل العكسي فيها.
- كانت نماذج الاستبدال (الاسمي والفعلي) نادرة في القصيدة، غير أن نماذج الاستبدال الاسمي تميزت بامتدادها وحضورها مما أكسب النص اتساقاً نحوياً ودلالياً.
- حققت عناصر الاتساق النحوي المدروسة تماسكاً شكلياً في قصيدة (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) قاد القارئ إلى فهم مبدئي لرؤية الشاعر وتجربته الشعرية.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، د.ط، مصر دار الكتب المصرية.
2. أبو البركات الأنباري، أسرار العربية، تحقيق فخر صالح قدارة، ط1، بيروت، دار الجيل 1995.
3. أحمد عفيفي، نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، ط1، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، 2004.
4. أحمد عمار، تحليل الخطاب الشعري من منظور اللسانيات النصية، د. ط، اربد، عالم الكتب الحديثة، 2006.
5. أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ط2، القاهرة، دار الشروق، 2012.
6. براون ويول، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، 1997.
7. بسمة محمد عوض الخفيفي، الرمز في شعر أمل دنقل (رسالة ماجستير)، جامعة قار يونس.
8. جمال الدين ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمدالله، ط1، لبنان در الفكر، 1993.
9. جمال الدين عبدالله بن هشام، شرح شذور الذهب، تحقيق يوسف البقاعي، ط 1، دار الفكر، 2003.
10. جون لاينز، علم الدلالة، ترجمة مجيد عبدالحليم الماشطة وحليم حسين فالح وكاظم حسين باقر، د.ط.
11. حسين ميزرائي، سيدرا ابراهيم آرمن، التناص الأسطوري في شعر أمل دنقل، فصلية دراسات الأدب المعاصر السنة الثالثة، العدد التاسع.
12. خليل ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ط1، دار جرير، 2009.
13. سامح الرواشدة، إشكالية التأويل والتلقي، ط 1، الأردن امانة عمان، 2001.
14. سامح الرواشدة، ثنائية الاتساق والانسجام في قصيدة الوقت، الجامعة الأردنية، مجلة دراسات 2003 مجلد 3 عدد 3.
15. سواعدي عاثة، جماليات التناص في شعر أمل دنقل ديوان «البكاء بين يدي زرقاء اليمامة» أنموذجاً (رسالة ماجستير) جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.
16. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، ط3، بيروت، عالم الكتب.
17. شوقي عبد الحكيم، موسوعة الفلكلور والأساطير العربية، ط1، بيروت، دار العودة، 1982.
18. صبحي ابراهيم الفقي، علم لغة النص بين النظرية والتطبيق، ط 1، دراسة تطبيقية على السور المكية، القاهرة، دار قباء، 2000.
19. عبدالعزيز المقالح، أمل دنقل وأنشودة البساطة، مجلة إبداع، القاهرة، العدد العاشر، السنة الأولى 1983.
20. عبدالقاهر الجرجاني، كتاب دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ط5، القاهرة، الخانجي، 2004.
21. عفت الشرقاوي، بلاغة العطف في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية، د.ط، بيروت، دار النهضة، 1981.
22. عمر أبو خرمة، نقد النظرية، د.ط، الأردن، عالم الكتاب، 2004.
23. فتحي رزق الخوالدة، تحليل الخطاب الشعري ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان أحد عشر كوكباً لمحمود درويش (رسالة ماجستير) جامعة مؤتة / 2005.
24. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، د.ت، بيروت، عالم الكتب.
25. محمد حماسة عبد اللطيف، الأبداء الموازي، ط1، التحليل النصي للشعر، القاهرة، دار غريب 2001.
26. محمد خطابي، لسانيات النص، (مدخل إلى انسجام الخطاب)، ط 1، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1991.
27. محمد فكري الجزار، الخطاب الشعري عند محمود درويش، ط 1، القاهرة، أبتراك للطباعة والنشر، 2001.
28. مصطفى النحاس، نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب، الكويت، ذات السلاسل، 2001.
29. نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، الأردن، عالم الكتب، ط 1، 2009.
30. وراق يحيى قاسم المعاضيدي، الرمز التراثي، قراءة في قصيدة البكاء بين يدي زرقاء اليمامة، مجلة التربية والعلم، مجلد 17، العدد (1) سنة 2010.